

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ -وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ- وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

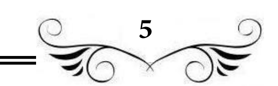
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أَمَّا بعدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وأحسنَ الهَدي هَديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

وبعدُ:

فإنَّ موضوعَ الرِّزْقِ موضوع مُهِمٌّ جِدًّا؛ لأَنَّهُ مُتعلِّقٌ بِحياةِ الإنسان، بل بحياةِ كلِّ دابَّةٍ تعلقًا تامًا. فصار الفكرُ متعلقًا بهِ، والجوارحُ ساعيةً إليه، واتَّخذَ النَّاسُ في تحصيلِ أرزقِهم مشاربَ، وَسَلَكوا مَسالكَ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ

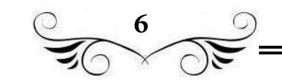


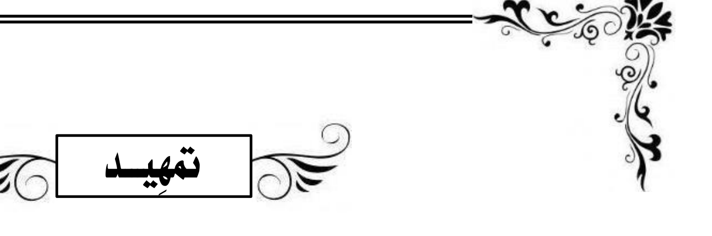
ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ [النحل: ٩].

وَفِي هَذَا الْمَوْضُوعِ يَظْهَرُ تَمَيُّزُ الْمُؤمِنِ، وانْفِرَادُهُ بِامْتِلاكِ شَخصيَّةٍ قويَّةٍ واثقةٍ بِوصولِ رزقِهَا إِليها، مطمئنةٍ لمنْ تَكَفَّلَ بأرزاقِها، ساعيَةٍ فِي الأرضِ هَوْنـًا فِي تَحصِيلِ مَا كُتِبَ لَهَا، مِنْ أَقوَمِ طَرِيقٍ وأسلمِ سبيل.

وأمَّا غيرُ المؤمنِ فيَظهَرُ فِي صُورَةٍ مُرتَبِكَةٍ، قد نَحتَ الهمُّ والغمُّ فؤادَه، وأَنحَلَ جسدَه، وأَزَاغَ عَينيْه، قد سلك كلَّ طَريقٍ، واصْطَدَمَ بِكُلِّ شاخصٍ، وَجَرَى جَريَ الوحوشِ، فيسقطُ في حُفَرِ الأرضِ ويَخرُجُ إِلى مَهَاويْها، فَمَا أتعسَ حياتَهُ، ومَا أنكَدَ عَيْشَهُ، ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ [المُلك: ٢٢].

فَهَا قَدْ رَأتْ عَيناكَ كيفَ قَسَمَ طَلَبُ الرِّزقِ الناسَ إِلى قسمينِ، وَفَرقَهُم فريقينِ، سُعَداءَ وأشقياءَ، فدعتني نفسي للكتابةِ في هذا الموضوعِ مبينًا: انفرادَ اللهِ بالرزقِ وحدَهُ سُبحَانَه، وتكفُّلَه برزقِ عبادِهِ، وأثرَ ضعفِ الإِيمانِ بذلك في حياةِ الناسِ، وما وقعوا فيه من أخطاء، وبيان أسباب الرزق، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم.





تمهيد

تتضح أهمية موضوع الرزق من خلال ارتباطه بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وقضائه وقدره:

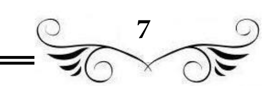
فمن الإيمان بربوبيته: إفراده بالخلق والملك والتدبير والرزق.

ومن الإيمان بألوهيته: إفراده بالعبادة وحده؛ لكمال إنعامه وإحسانه وانفراده وحده برزق عباده، ولضعف غيره سبحانه وعجزهم وفقرهم، وأنهم لا يملكون ضرًا ولا نفعًا ولا رزقًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فالإيمان بأنه هو المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وأنه ليس له شريك في ذلك، يلزم من ذلك إفراده بالعبادة كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

(**عن ابن عباس:** ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من التوحيد هو الحق الذي لا شك فيه)[١].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٨٨).



وفي الحديث أن يحيى بن زكريا جمع بني إسرائيل « **فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ، أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** »[(١)] الحديث

وما ينبغي للعبد أن يجعل لله ندًّا، وهو يعلم أن الله هو خالقه ورازقه، قال ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**» رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

ومن الإيمان بأسمائه وصفاته: الإيمان باسمه الرزاق، وأنه هو يرزق جميع خلقه (والرزَّاق والرازق اسمان من أسماء الله الحسنى، وهما مشتقان من مادة الرزق، والرزق: هو كل ما ينتفع به)[(٢)].

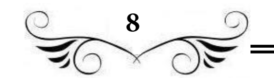
(**وينقسم الرزق إلى قسمين**: عام وخاص، فالعام: كل ما ينتفع به البدن سواءً كان حلالًا أو حرامًا، وسواءً كان المرزوق مؤمنا أو كافرًا، ولهذا قال السفاريني:

والـــرزق مـــا ينفـــع مـــن حـــلال	**أو ضـــده فحـــل عـــن المحـــال**
لأنـــه رازق كـــل الخـــلق	**ولـــيس مخلـــوق بغيـــر رزق**

---

(١) رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) المنهاج الأسنى: (٢/ ٣٦٠).

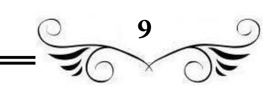


لأنك لو قلت: إن الرزق هو العطاء الحلال لكان كل الذين يأكلون الحرام لم يرزقوا، مع أن الله أعطاهم ما تصلح به أبدانهم، لكن الرزق نوعان: طيب وخبيث؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]. ولم يقل: والرزق، أما الخبائث فهي حرام.

أما الرزق الخاص: فهو ما يقوم به الدين من العلم النافع والعمل الصالح والرزق الحلال المعين على طاعة الله)[١].



(١) شرح الواسطية لابن عثيمين: (١٦٥، ١٦٦).





أولاً: حقائق



انفراد الله بالرزق

١

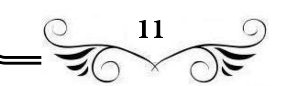
كما أن الله سبحانه وتعالى قد انفرد بالخلق فلا خالق سواه، فهو المنفرد أيضًا برزق عباده فلا رازق سواه، وهذا مما أقرَّ به المشركون مع شركهم، ولهذا دعاهم الله تعالى إلى إفراده بالعبادة لأنه هو المنفرد بخلقهم ورزقهم وتدبير أمورهم، وغير الله تعالى مما يعبده هؤلاء المشركون لا يخلق ولا يرزق ولا يملك وهم يعترفون بهذا، قال تعالى:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

۞ ۞ ۞

وقد أنكر إبراهيم عليه السلام على قومه عبادتَهم الأصنامَ وهي لا تملك لهم رزقًا، وأمرهم بإفراد الله وحده بالعبادة لأنه خالقهم ورازقهم، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال لهم: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٩].





وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤].

وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾ [المُلك: ٢١].

(أي: من هذا الذي إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي: لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله ﷻ وحده لا شريك له)(١).

❁ ❁ ❁

وهو الذي قسم الأرزاق:

وقد قسم الله تعالى بين عباده أرزاقهم فوسع على أناس وضيق على آخرين..

لحكـــمه بالغـــة قضـــاها   يستوجب الحمد على اقتضاها

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ [النحل: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص: ٨٢].

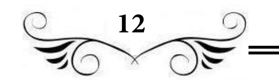
من الحكم العظيمة في تقسيم الأرزاق:(٢)

١ - ليعرف العباد بذلك أنه سبحانه المدبر لجميع الأمور وأن بيده

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥١٢).

(٢) من كتاب الضياء اللامع للشيخ ابن عثيمين: (٢٩٨).



مقاليدَ السماوات والأرض، فهذا يوسع عليه والآخر يضيق عليه ولا راد لقضائه وقدره.

٢ - بسط العليم الحكيم الرزق لبعض العباد وضيقه على بعضهم ليعتبروا بهذا التفاوت في الدنيا تفاوتَ ما بينهم في درجات الآخرة، فكما أن الناس في هذه الدنيا متفاوتون، فمنهم من يسكن القصور المشيدة العالية، ويركب المراكب الضخمة الغالية، ويتقلب في ماله وبنيه في سرور وحبور، ومنهم من لا مأوى له ولا مال ولا بنون، ومنهم ما بين ذلك على درجات مختلفة؛ فإن التفاوت في درجات الآخرة أعظم وأكبر وأجل وأبقى ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢١].

٣ - قسم الله الرزق بين عباده ليعرف الغني قدر نعمة الله عليه بالإيسار فيشكره عليها ويلتحق بالشاكرين، ويعرف الفقير ما ابتلاه الله به من الفقر فيصبر عليه وينال درجة الصابرين ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

٤ - قسم الله الرزق بين عباده لتقوم مصالحهم الدينية والدنيوية فلو بسط الرزق لجميع العباد لبغوا في الأرض بالكفر والطغيان والفساد، ولو ضيق الرزق على جميعهم لاختل نظامهم وتهاوت من معيشتهم الأركان.

لوكان الناس في الرزق على درجة واحدة لم يتخذ بعضهم بعضًا سُخريًا، لم يعمل أحدهم للآخر صنعةً ولم يحترف له بحرفة، لأن الكل



في درجة واحدة فليس أحدهم أولى بهذا من الآخر.

أين الرحمة والعطف من الغني للفقير إذا قدرنا أن الناس كلهم في درجة واحدة؟

أين الموقع العظيم الذي يحصل بصلة الأقارب بالمال إذا كان الكل في درجة واحدة؟

إن هذا وأضعافَه من المصالح يُفقد لو تساوى الناس في الأرزاق، ولكن الحكيم العليم قسم بينهم أرزاقهم، وأمر الأغنياء بالشكر والإنفاق، وأمر الفقراء بالصبر وانتظار الفرج من الكريم الرزاق. فعلينا معشر المسلمين أن نرضى به ربًا، فنرضى بقسمه وأقداره، وأن نرضى به حكمًا فنؤمن بحكمه وأسراره.





تكفل الله بالأرزاق

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾ [هود: ٦].

٢

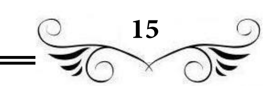
فـ (أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها)[١].

و قال الله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئًا لغد ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البَيض خرجوا وهم بِيض، فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أيامًا حتى يسودَّ الريش، فيظل الفرخ فاتحًا فاه يتفقد أبويه، فيقيض الله تعالى طيرًا صغارًا كالبرغش، فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسْودَّ ريشُه، والأبوان

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٧).



يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه، فإذا رأوه قد اسودَّ ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق، ولهذا قال الشاعر:

يـــا رازق النعـــاب في عشـــه وجابر العظم الكسير المهيض[1]

وتـأمّل...

تأمل كيف تكفل الله برزقك وأوصله إليك وأنت تتقلب في بطن أمك في ظلمات ثلاث، لا تملك تحصيله، أو التسبب لنيله، فأوصله إليك الرزاق عن طريق الحبل الواصل بينك وبين أمك، تدخل أمك اللقمة في فمها، فتصل إليك غذاءً ورزقًا، حتى إذا اكتملت وتتامت أعضاؤك ألقتك أمك أحمر ليس عليك قشرة، فإذا أنت في عالم جديد، وإذا بين يديك رزق جديد، ثديان يصبان اللبن صبًّا، يصبَّانه حلوًا سائغًا، بجود وسخاء ليس له مثيل.

بل ويرشدك الهادي سبحانه كيف تأخذ رزقك وكيف تلتقم الثدي وكيف تضع فمك وكيف تمتص!!!

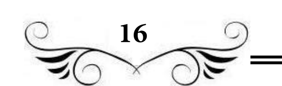
وتجاوزك أيامٌ وشهورٌ، وإذا بفكيك قد نبتت فيه الأسنان البيضاء، تهشم الخبز، وتقطع اللحم، وتقضم الفاكهة والخضراوات، وترسل إلى المعدة رزقًا جديدًا ساقه إليها الرزاق سبحانه، جل شأنه وتقدست أسماؤه.

أحســن الظـن بمـن قـد عـوَّدك كـــل إحســـان وســـوى أودك

إن مـن قـد كـان يكفيـك الـذي كـان بـالأمس سـيكفيك غـدك

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٥٦).



وقال الشافعي:

سهرتْ أعينٌ ونامتْ عيونُ	**في أمورٍ تكونُ أو لا تكونُ**
فادرأ الهمَّ ما استطعتَ عن النف	**سِ فحملانكَ الهمومَ جُنونُ**
إِن ربًا كفاكَ بالأمسِ ما كا	**ن سيكفيكَ في غدٍ ما يكونُ**

۞ ۞ ۞

وتأمّل...

فهذا رجل يضرب صخرةً صماءَ بمعوله، فتنفلق عن دودةٍ حيَّةٍ تسعى، فسبحان من تكفل بأرزاق خلقه حيثما كانوا.

۞ ۞ ۞

وتأمّل...

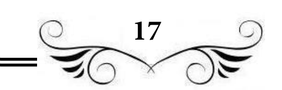
ذكروا أن ثعبانًا أعمى كان على رأس نخلة لا يستطيع سعيًا لرزقه، فسخر الله له طائرًا يحمل الطعام في منقاره، فيأتي إليه ويدور حوله فيفتح الثعبان فاه، فيلقي إليه الطائر ما كان معه من الطعام.

وكيف أخاف الفقر والله رازقي	**ورازق هذا الخلق في العسر واليسر**
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم	**وللضب في البيداء والحوت في البحر**

۞ ۞ ۞

وتأمّل...

(كان ابن بابشاذ النحوي يأكل يومًا مع بعض أصحابه طعامًا، فجاء قطٌّ فرمَوا له شيئًا، فأخذه وذهب سريعًا ثم أقبل، فرموا له شيئًا أيضًا، فانطلق



به سريعًا ثم جاء، فرمَوا له شيئًا أيضًا، فعلموا أنه لا يأكل هذا كله، فتتبعوه فإذا هو يذهب به إلى قِطٍّ آخر أعمى في سطح هناك، فتعجبوا من ذلك)[١].



وتأمّل...

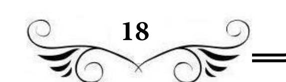
قال الجاحظ: من علم البعوض أن وراء جلد الجاموس دمًا، وأن ذلك الدم غذاء لها، وأنها إذا طعنت في ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه؟ ولو أنك طعنت فيه بمسلات شديدة المتن، رهيفة الحد لانكسرت، فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته[٢].

❁ ❁ ❁

وتأمل...

(وانظر في هذه الطير التي لا تخرج إلا بالليل كالبوم والهام والخفاش، فإن أقواتها هيئت لها في الجو، لا من الحب ولا من اللحم، بل من البعوض والفراش وأشباههما مما تلقطه من الجو، فتأخذ منه بقدر الحاجة، ثم تأوي إلى بيوتها فلا تخرج إلى مثل ذلك الوقت بالليل، وذلك أن هذه الضروب من البعوض والفراش وأشباههما مبثوثة في الجو لا يكاد يخلو منها موضع منه، واعتبر ذلك بأن تضع سراجًا بالليل في سطح أو عرصة الدار فيجتمع عليه من هذا الضرب شيء كثير، وهذا الضرب من الفراش ونحوها ناقص الفطنة ضعيف الحيلة ليس في الطير أضعف منه

(١) البداية والنهاية (١٢/ ١١٦).
(٢) المستطرف (٢/ ٢٢٤).



ولا أجهل، وفيما يرى من تهافته في النار وأنت تطرده عنها حتى يحرق نفسه دليل على ذلك، فجعل معاش هذه الطيور التي تخرج بالليل من هذا الضرب، فتقتات منه، فإذا أتى النهار انقطعت إلى أوكارها، فالليل لها بمنزلة النهار لغيرها من الطير، ونهارها بمنزلة ليل غيرها، ومع ذلك فساق لها الذي تكفل بأرزاق الخلق رزقَها، وخلقه لها في الجو، ولم يدعها بلا رزق مع ضعفها وعجزها، وهذه إحدى الحكم والفوائد في خلق هذه الفراش والجنادب والبعوض، فكم فيها من رزق لأُمَّةٍ تُسَبِّحُ بحمد ربها، ولولا ذلك لانتشرت وكثرت حتى أضرت بالناس ومنعتهم القرار، فانظر إلى عجيب تقدير الله وتدبيره كيف اضطر العقول إلى أن شهدت بربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وأن ذلك الذي تشاهده ليس باتفاق ولا بإهمال من سائر وجوه الأدلة التي لا تتمكن الفطر من جحدها أصلًا)(١).

❁ ❁ ❁

قال عبدالله بن المبارك أنبأنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد قال: قال عيسى: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، انظروا إلى هذه الطير تغدو وتروح، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها، فإن قلتم: نحن أعظم بطونًا من الطير، فانظروا إلى هذه الأباقير من الوحوش والحمر، فإنها تغدو وتروح، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤٧).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٩٠).

ارغب إلى الله ولا ترغب إلى أحد | أما رأيت ضمان الواحد الصمد
الله رازق هـذا الخلـق كلـهم | حتى يفرق بين الروح والجسد

۞ ۞ ۞

(**قيل لبعضهم**: من أين تأكل؟ فقال: الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين، والذي شدق الأشداق هو خالق الأرزاق)(١).

(**قيل لأبي حازم**: أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك؟ إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذي يرزقنا في الغلاء)(٢).

وقال عمر بن أبي عمر اليوناني:

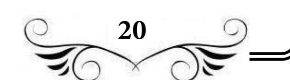
غلا السعر في بغداد من بعد رخصة | وإني في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع | غناه ولا الحرمان والله رازق(٣)

۞ ۞ ۞

(والإنسان ليس وحده الذي يأكل ويشرب ويقتات في هذا الكون، فهناك ملايين الملايين من الأحياء ابتداءً من ذوي الخلية الواحدة في النبات والحيوان، وانتهاءً بالإنسان في برها وبحرها وجوها، وكل هذه المخلوقات منكبة كل يوم، بل كل ساعة، بل كل دقيقه على هذه المائدة الأرضية التي أعدها الرزاق المقيت، وعمرها بأنواع الطعام الذي لا ينفد ولا

---

(١) تفسير القرطبي: (٩/ ٩).
(٢) حلية الأولياء: (٣/ ٢٣٩).
(٣) المستطرف: (١/ ١٥٩).



ينضب، فيتناول كل مخلوق ما يقيته ويأكل منها رزقه الذي يناسبه)[1] (فلتطمئن القلوب إلى كفاية من تكفل بأرزاقها، وأحاط علمًا بذواتها وصفاتها)[2].

قد وزع الله بين الخلق رزقهمو	**لم يخلق الله من خلق يضيعه**
لكنهم كلفوا حرصًا فلست ترى	**مسترزقًا وسوى الغايات تقنعه**
والحرص في الأرزاق والأرزاق قد قسمت	**بغي ألا إن بغي المرء يصرعه**



(١) المنهاج الأسنى: (٢/ ٣٨٣).

(٢) تفسير السعدي: (٣٧٧).







ورزقك قد كتب وقدر

٣

لقد كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات الأرض، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١).

وخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**خَلَقَ اللهُ كلَّ نفسٍ وكتبَ حياتَها ورزقَها ومصَائبَها**»(٢).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضًا أن النبي ﷺ قال: «فُرِغَ إِلَى ابْنِ آدَمَ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنَ الْخَلْقِ، وَالْخُلُقِ، وَالْأَجَلِ، وَالرِّزْقِ»(٣)رواه الطبراني في الأوسط.

وكتب الله رزق عبده أيضًا وهو في بطن أمه:

عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**»(٤).

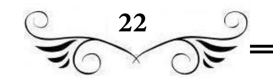
---

(١) مسلم: (٢٦٣٥).

(٢) صحيح الجامع: (٧٧٣٧).

(٣) صحيح الجامع: (٤٢٠٠).

(٤) مسلم: (٢٦٤٣).



العبـد ذو ضـجر والـرب ذو قـدر والدهر ذو دول والـرزق مقسـوم

والخير أجمع فيما اختار خالقـنا وفي اختيـار سـواه اللـوم والشـوم





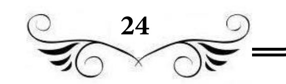
وما كتب لك واصل إليك



والرزق الذي قد كتبه الله للعبد واصل إليه لابُدَّ، واللقمة التي كتب الله للعبد أن يأكلها لن تدخل في فم أحد سواه، ولئن اجتمع الخلق ليحولوا بينك وبين رزقك الذي كتبه الله لك لانثنوا على أعقابهم خاسرين(١)، ولئن اجتمعوا على أن يوصلوا إليك رزقًا ما كتبه لك الله لكان البوار حليفَهم، فإنه سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

---

(١) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة. قال: فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله فذكروا له فقال «**وما يدريك أنها رقية**». ثم قال «**قد أصبتم اقسموا واضربوا لي معكم سهما**». فضحك رسول الله ﷺ. (رواه البخاري) قال ابن حجر: وفيه أن الرزق المقسوم لا يستطيع من هو في يده منعه ممن قسم له؛ لأن أولئك منعوا الضيافة وكان الله قسم للصحابة في مالهم نصيبا فمنعوهم، فسبب لهم لدغ العقرب حتى سيق لهم ما قسم لهم.



ولن يموت عبد إلا بعد أن يأخذ رزقه الذي كتب له كاملًا لا ينقص من رزقه شيء.

ومن غرائب ما قرأنا أن شخصًا سقط من بناءٍ عالٍ فالتف الناس حوله فقال: ليس بي بأس، أريد أن أشرب، وبعد أن شرب مات مباشرة فكانت تلك الشربة هي الباقية من رزقه.

مشـــيناها خطـــى كتبـــت علينـــا ... و مـن كتبت عليه خطى مشـاها

و أرزاق لنـــــا متفرقـــــــات ... فمــــن لــم تأتــه منــا أتاهـــــا

و مــــن كتبـــت منيتـــه بـــأرض ... فلـيس يمـوت في أرض سـواها

فرزق كل عبد واصل إليه بل يطلبه، أخرج أبو نعيم في الحلية من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ هَرَبَ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَهْرُبُ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ**»[1].

أتيــه علــى الخليفــة في نوالــه ... ويمنعنــي التعفـفُ عــن سـؤاله

وأعلـــم أن رزق المـــرء يـــأتي ... كمـــا تـــأتي المنيـــة لاغتيـــاله

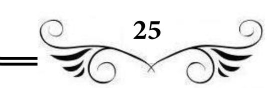
وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «الرِّزْقُ أَشَدُّ طَلَبًا لِلْعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ»[2].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ**

---

(١) صحيح الجامع: (٥٢٤٠).

(٢) صحيح الجامع: (٣٥٥١).



فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا»(١).

۞ ۞ ۞

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ رأى تمرةً عائرةً فأخذها فناولها سائلًا فقال: «**أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَأْتِهَا لأَتَتْكَ**» رواه الطبراني بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه والبيهقي(٢).

العائرة: الساقطةُ لا يُعْرَف لها مالكٌ.

ولهذا قال الشاعر:

لَوْ أَنَّ فِي صَخْرَةٍ فِي الْبَحْرِ رَاسِيَةٍ ... صَمَّاء ملمومَة ملْس نَوَاحِيهَا

رِزْقًا لِعَبْدٍ بَرَاهُ اللهُ لَانْفَلَقَتْ ... حَتَّى تُؤَدِّي إِلَيْهِ كُلَّ مَا فِيهَا

أَوْ كَانَ تَحْتَ طِبَاقِ الْأَرْضِ مَطْلَبُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا

حَتَّى تُؤَدِّي الَّذِي فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ ... إِنْ هِيَ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوْفَ يَأْتِيهَا(٣)

وقال آخر:

ولو أن رزق العبد في رأس صخرةٍ ... من الصمّ في طود من الشمّ صاقبِ

إذن لأتاه العبد حتَّى يناله ... ولو كانَ مِضياعًا له غير طالبِ

وقال آخر (وينسب للشافعي):

---

(١) صحيح الجامع: (٢٠٨٥).

(٢) صحيح الترغيب: (١٧٠٥).

(٣) الآداب الشرعية، وقال ابن عبد البر عن الأبيات: تُروى لعلي بن أبي طالب وفيها نظر.

تَوكلْتُ في رِزْقي عَلَى اللهِ خَالقي ... وأيقنتُ أنَّ اللهَ لا شكَّ رازقي

وما يكُ من رزقي فليسَ يفوتني ... وَلَو كَانَ في قَاع البَحَارِ الغَوامِقِ

سيأتي بهِ اللهُ العظيمُ بفضلهِ ... ولو لم يكن مني اللسانُ بناطقِ

ففي أي شيءٍ تذهبُ النفسُ حسرةً ... وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلاَئِقِ

(**قيل لحاتم الأصم**: علامَ بنيت أمرك هذا من التوكل؟ قال: على أربع خلال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فلست أهتم له، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به، وعلمت أن الموت يأتيني بغتةً فأنا أبادره، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا أستحيي منه)[1].

---

(١) شعب الإيمان: (٢/ ٩٧).





ثانيًا: أخطاء



وبعد ذلك...

وبعد أن يعلم العبد:

- أن الله وحده هو المنفرد برزق عباده.
- وكتبها لهم قبل أن يوجدوا.
- وأن رزق كل عبد واصل إليه لامحالة.

بعد أن يعلم كل هذا ويؤمن به إيمانًا راسخًا، إذا به يعيش في هذه الدنيا مطمئن النفس، هادئ البال، قرير العين، السعادة تغمر قلبه، وتسكن في جوانحه.

وعلى العكس منه تمامًا من كان عكسه، وقع في أخطاء عظيمة، ومهاوٍ سحيقة، ها نحن نذكر منها بعضها:



الانشغال بما تكفل الله به عما خلق العباد لأجله



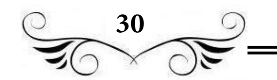
خلق الله الخلق لعبادته وحده سبحانه، وتكفل لهم بأرزاقهم فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

(**ومعنى الآية**: أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب، وأخبر أنه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم؛ فهو خالقهم ورازقهم، قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران - يعني ابن زائدة- بن نشيط عن أبيه عن أبي خالد -هو الوالبي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أسد فَقْرَكَ**» ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة، وقال الترمذي: حسن غريب[1])[2].

قال بلال بن سعد: عباد الرحمن، أما ما وكلكم الله عز وجل به فتضيعونه، وأما ما تكفل لكم به فتطلبونه، ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين، أذوو عقول في طلب الدنيا وبلهٌ عما خلقتم له؟! فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعة الله؛ فكذلك أشفقوا من عذاب الله بما تنتهكون من

(١) صحيح الجامع: (١٩١٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٣).



معاصي الله عَزَّ وَجَلَّ.

وقال الحجاج في بعض خطبه:

(إن الله كفانا مؤونة الدنيا، وأمرنا بطلب الآخرة، فليته كفانا مؤونة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا! مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون وشراركم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيعون ما به أمرتم؟!)(١).

نعم والله أمرنا بعبادته وتكفل أن يرزقنا، ومن جهلنا انشغلنا بالمضمون وتركنا الأمر الذي خلقنا لأجله.

وهذا حال الأكثرين من الخلق كما وصفهم ابن القيم بقوله:

(يهتمون بما ضمنه الله ولا يهتمون بما أمرهم به، ويفرحون بالدنيا ويحزنون على فوات حظهم منها، ولا يحزنون على فوات الجنة وما فيها، ولا يفرحون بالإيمان فرحهم بالدرهم والدينار)(٢).

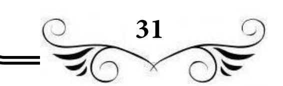
ومن مظاهر انشغال الخلق بما تكفل الله لهم به عن عبادته ما تراه من الازدحام في الأسواق في أوقات الصلوات، بل وفي يوم الجمعة بالذات، وكأنهم غير مخاطبين بأمر ولا نهي، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

---

(١) جمهرة خطب العرب (٢/ ٢٩٦).

(٢) الفوائد (١٥٧).



وفي **الحديث القدسي**: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**»(١).

أخي الحبيب: وإذا تعارض أي عمل من أعمالك الدنيوية مع ما أمرك الله به من عبادته وطاعته فقدم ما أمرك به ترَ النتيجة.

«**يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أسد فَقْرَكَ**»

۞ ۞ ۞

وانظر ما وصف الله به عباده فقال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

ثم انظر عاقبتهم..

.. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].

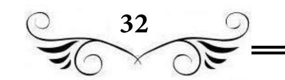
فهؤلاء هم الفائزون حقًا في الدنيا والآخرة، وعكسهم من شغلتهم التجارة والأموال، والنساء والعيال، عن ذكر الله وعن صفات اولئك الرجال، فكانوا أحق بالخسارة والوبال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قال القرطبي: ويستحب للتاجر أن لا تشغلَه تجارته عن أداء الفرائض، فإذا جاء وقت الصلاة ينبغي أن يترك تجارته حتى يكون من أهل هذه الآية ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] (٢).

---

(١) صحيح الجامع: (١٧٨١).

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ١٤٣).



(**قال عمرو بن دينار الأعور**: كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد، فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم، فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد، فتلا سالم هذه الآية ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] ثم قال: هم هؤلاء.

وقال مطر الوراق: كانوا يبيعون ويشترون ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة)[1].

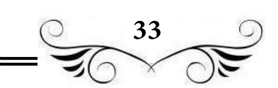
وفي البخاري قال قتادة: كان القوم يتبايعون ويتجرون ولكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله.

يمشون نـحو بيوت الله إذ سـمعوا ... (الله أكبـر) في شـوق وفي جـذل

أرواحـــهم خشـعت لله في أدب ... قلـوبهم مـن جـلال الله في وجـل

هـم الرجـــال فـلا يلهـيهم لعـب ... عـن الصـلاة ولا أكذوبـة الكسـل

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).







التوكل على غير الله تعالى

قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٢ **قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي:** الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان وقرين التوحيد وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة.

وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده .. إلا لم يكله الله إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب

وأنشدني منصور بن محمد الكريزي:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... أردت فإن الله يقضي ويقدر

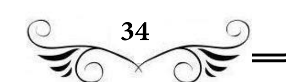
متى ما يرد ذو العرش أمرًا بعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير

وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر[1]

وإن من الخطأ العظيم اتكال العبد على غير ربه، والأمور كلها بيده سبحانه وتعالى، ومن يتكل على غير الله فإنما يتكل على ضعف وعجز، ومن توكل على مخلوق وكله الله إليه.

---

(١) روضة العقلاء: (١/ ١٥٣).



قال الله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

(والآية تفيد بمفهومها أن من توكل على غير الله خُذِلَ، لأن غير الله لا يكون حسبًا، فمن توكل على غير الله تخلى الله عنه، وصار موكولًا إلى هذا الشيء، ولم يحصل له مقصوده، وابتعد عن الله بمقدار توكله على غير الله)[1].

ومن مظاهر التوكل على غير الله اعتماد العبد في تحصيل رزقه واطمئنان قلبه على أهله أو أقاربه أو على ملكه ورئيسه أو على السبب والوظيفة وينسى أن الله تعالى هو الذي يسخر الأرزاق ويسببها.

قال ابن عثيمين: الاعتماد على شخص في [الرزق والمعاش] وغير ذلك، وهذا من الشرك الأصغر، وقال بعضهم من الشرك الخفي.

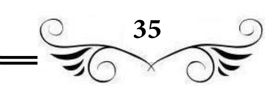
مثل اعتماد كثير من الناس على وظيفته في حصول رزقه ولهذا تجد الإنسان يشعر من نفسه أنه معتمد على هذا اعتماد افتقار فتجد في نفسه من المحاباة لمن يكون هذا الرزق عنده ما هو ظاهر فهو لم يعتقد أنه مجرد سبب بل جعله فوق السبب[2].

وقد يكون التوكل على غير الله شركًا أكبر يخرج صاحبه من دائرة الإسلام؛ وذلك حين يتوكل على غير الله توكل اعتماد وتفويض كامل في جلب الرزق والخير قارنًا ذلك بالرغبة والرهبة، كما يفعله عباد القبور والأولياء.

---

(١) القول المفيد لابن عثيمين: (٤٣٢).

(٢) القول المفيد: (٤٢٩).

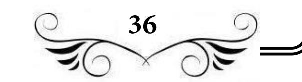


يقول شيخ الإسلام:

(فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله؛ فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك، وإن كان الله قد جعل لها أسبابًا فالسبب لا يستقل بنفسه بل لابد له من معاون ولابد أن يمنع المعارض المعوق له وهو لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى، ولهذا قيل: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨] فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده. وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقًا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه؛ فإنه مشرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وكذلك المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب كما قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١] والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] وقد فسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك، ففي

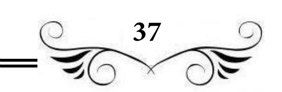


الصحيح عن ابن مسعود: إن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه فقال النبي ﷺ: «**إنّما هَذا الشركُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا إلى قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] »

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧] ولهذا يذكر الله الأسباب ويأمر بأن لا يعتمد عليها ولا يُرجى إلا الله، قال تعالى لما أنزل الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وقال: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وقد قدمنا أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

وكلاهما لا يصلح إلا لله، فمن جعل مع الله إلهًا آخر قعد مذمومًا مخذولًا، والراجي سائل طالب فلا يصلح أن يرجو إلا الله ولا يسأل



غيره، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَا أَتَاكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ سَائِلٍ وَلَا مُشْرِفٍ فَخُذْهُ، وَمَالَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**» فالمشرف: الذى يستشرف بقلبه، والسائل: الذي يسأل بلسانه، وفى الحديث الذي في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: أصابتنا فاقة فجئت رسول الله ﷺ لأسأله فوجدته يخطب الناس وهو يقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ وَاَللهِ مَهْمَا يَكُنْ عِنْدَنَا مَنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ**»

والاستغناء: أن لا يرجو بقلبه أحدًا فيتشرف إليه، والاستعفاف: أن لا يسأل بلسانه أحدًا، ولهذا لما سئل أحمد بن حنبل عن التوكل فقال: قطع الاستشراف إلى الخلق، أي: لا يكون في قلبك أن أحدًا يأتيك بشيء. فقيل له: فما الحجة في ذلك؟ فقال: قول الخليل لما قال له جبرائيل: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

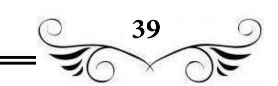
فهذا وما يشبهه مما يبين أن العبد في طلب ما ينفعه ودفع ما يضره لا يوجه قلبه إلا إلى الله، فلهذا قال المكروب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» ومثل هذا ما في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ**» فإن هذه الكلمات فيها تحقيق التوحيد، وَتَأَلُّهُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وتعلقُّ رجائه به وحده لا شريك له، وهى لفظ خبر يتضمن الطلب، والناس وإن كانوا يقولون بألسنتهم: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» فقول العبد لها مخلصًا من قلبه له حقيقة أخرى، وبحسب تحقيق

التوحيد تكمل طاعة الله قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤] فمن جعل ما يألهه هو ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه أي: جعل معبوده هو ما يهواه، وهذا حال المشركين الذين يعبد أحدهم ما يستحسنه فهم يتخذون أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله.

ولهذا قال الخليل: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] فإن قومه لم يكونوا منكرين للصانع، ولكن كان أحدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعًا كالشمس والقمر والكواكب، والخليل بين أن الآفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره، فأي وجه لعبادة من يأفل؟.. الخ)[1].



(١) الفتاوى (١٠/ ٢٦٠).





التواكل

٣

وهو ادِّعاء التَّوكل على الله مع عدم فعل الأسباب، وقد وقع فيه بعض الناس فتركوا العمل بحجة التوكل وأن الرزق مكتوب ومضمون، كما قال بعضهم:

جَرَى قلمُ القضاءِ بما يكونُ ... فسيانِ التحركُ والسكونُ

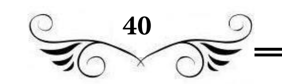
جُنونٌ منكَ أن تسعى لرزقٍ ... ويُرزقُ في غشاوتِه الجنينُ

وهذا من الفهم الخاطئ للتوكل؛ فإن التوكل في الحقيقة هو (صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به سبحانه وتعالى وفعل الأسباب الصحيحة، فمن توكل على الله ولكن لم يفعل السبب الذي أذن الله فيه فهو غير صادق، بل إن عدم فعل الأسباب سفه في العقل ونقص في الدين؛ لأنه طعن واضح في حكمة الله تعالى)[1].

وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين: (١٥١).



وقال ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: إِلَى الجَبَلِ - فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ**» رواه البخاري

❁ ❁ ❁

والذين يتركون العمل والسعي بحجة التوكل إنما يسوغون لأنفسهم أن يكونوا عالةً على غيرهم، فيجعلون التوكل علةً وسبيلًا.

والأمة التي يسري فيها هذا الداء -داء التواكل- هي أمة انهزامية، أمة ضعيفة، تنحدر إلى هاوية الهلاك؛ لتستقر في قاع الضياع.

وانظر إلى حياة الأنبياء والصالحين، وهؤلاء أعلى الناس توكلًا ويقينًا، لم يتركوا العمل والتكسب. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠].

فأخبر تعالى عن جميع الرسل(أنهم كانوا يأكلون الطعام، ويحتاجون إلى التغذي به، ويمشون في الأسواق للتكسب والتجارة)(١).

وروى البخاري عن المقدام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ** عليه السلام، **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»

ورَوى عن أنس رضي الله عنه قال:

قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٧).



يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «**وما سقت إليها؟**». قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، -أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ- قَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[(١)].

وفي البخاري أيضًا أن أبا هريرة قال: «إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ»

وفي سيرة سلفنا أمثلة كثيرة[(٢)] لسعيهم في تحصيل أرزاقهم، وأمرهم بالسعي مع صدق توكلهم على ربهم، فبعدًا للمتواكلين.

أفضل من ركعتي قنوت ... ونيل حظ من السكوت
ومن رجال بنوا حصونًا ... تصونهم داخل البيوت
غدو عبد إلى معاش ... يرجع منه بفضل قوت

---

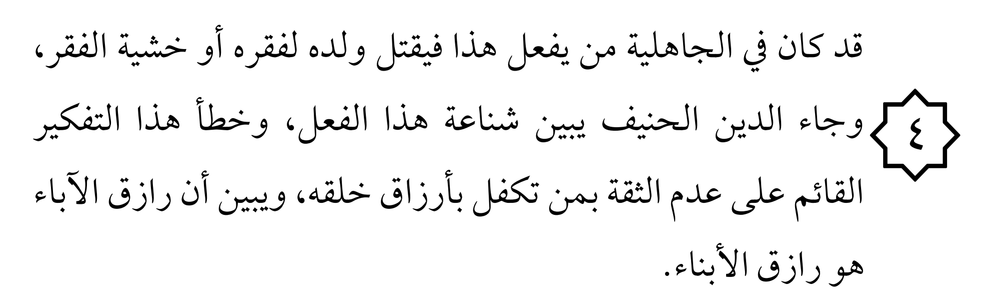
(١) **فائدة**: قال ابن تيمية: وما روي أن ابن عوف يدخل الجنة حبوًا كلام موضوع لا أصل له؛ فإنه قد ثبت بأدلة الكتاب والسنة أن أفضل الأمة أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، والعشرة مفضلون على غيرهم والخلفاء الأربعة أفضل الأمة (مجموع الفتاوى: (١١/ ١٢٩).

(٢) تجد من هذه الأمثلة عند كلامنا عن الكسب في الصفحات القادمة.





قتل الأولاد خشية الفقر



٤ قد كان في الجاهلية من يفعل هذا فيقتل ولده لفقره أو خشية الفقر، وجاء الدين الحنيف يبين شناعة هذا الفعل، وخطأ هذا التفكير القائم على عدم الثقة بمن تكفل بأرزاق خلقه، ويبين أن رازق الآباء هو رازق الأبناء.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

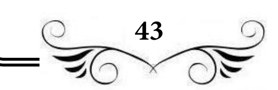
وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١].

(**أي**: قد تكفلنا برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق)[1].

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ**». قَالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**». وَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

---

(١) تفسير السعدي (٢٧٩).





على آثار الجاهلية

وعلى آثار الجاهلية سارت ركاب دعوة تحديد النسل، تحمل حجتها الداحضة أن كثرة النسل سبب للجوع وضيق العيش في الأسرة والمجتمع، ووراء ذلك مخططات لإعداء الإسلام -من منصرين وغيرهم- تهدف إلى إضعاف الأمة بإضعاف تناسلها.

وللأسف الشديد ها هم كثير من المسلمين ينقادون لهذا المخطط القادم من قبل قوم كفروا بالله ورسوله[1] وصدَّقوا أنَّ كثرة الأولاد سبب لضيق العيش والرزق، فأساءوا الظن بالله تعالى، وتجاهلوا أن أرزاقهم وأرزاق أولادهم على الله، قد تكفل بها قبل أن تقذفهم أرحام أمهاتهم إلى هذه الدنيا، بل إن (إدرار الرزق يكون بقدر العيال، والمعونة تنزل بحسب المؤونة، فمن تزوج قاصدًا بتزوجه المقاصد الأخروية لتكثير الأمة، لا قضاء الوطر ونيل الشهوة رزقه الله من حيث لا يحتسب)[2].

---

(١) دعوة تحديد النسل تعتبر تلخيصًا لنظرية القسيس والعالم الاقتصادي الانجليزي مالتوس حينما نشر أفكاره في (١٢١٢هـ - ١٧٩٨م) في مجلة تحت عنوان: تزايد السكان وتأثيره في تقدم المجتمع في المستقبل، وملخص نظريته: أن زيادة السكان تتم بنسبة متوالية هندسية (١، ٢، ٤، ٨) في حين أن زيادة الغذاء تتم بنسبة متوالية حسابية (١، ٢، ٣، ٤). وإذا استمر النسل بصورته الفطرية فسيأتي يوم تضيق الأرض بمن عليها من البشر، فتعيش في ضنك وضيق.

وعلى هذا الأساس دعا مالتوس إلى الحد من النسل، وإيجاد الطرق الكفيلة بذلك، من أجل تنظيم عملية الإنجاب، بحيث تتوافق زيادة السكان مع إمكانات العيش ووسائله المتاحة. **(نقلًا من كتاب العدوان على المرأة)**.

وأقول: دعوة هؤلاء لتحديد النسل في بلاد المسلمين خوفهم من تكاثر المسلمين مع تناقصهم ولأهداف أخرى.

(٢) فيض القدير للمناوي (٣/ ٢٤١).

ونقول: لا يستغرب صدور مثل هذا الكلام التافه من كافر سيء الظن بربه ولكن العجب من مسلم يرتضيه ويدعو إليه.

قال حاتم الأصم:

لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد ما طمع الشيطان أن يوسوس إليَّ في شيء من أرزاقهم(١).

وشكا رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله، فقال: ابعث إليَّ منهم من لا رزقه على الله، فسكت الرجل(٢).

فتاوى في حكم تحديد النسل:

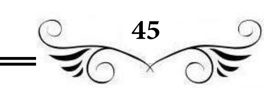
١ - صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء في الدورة الثامنة المنعقدة بالرياض بتاريخ ربيع الأول ١٣٩٦ هجرية في حكم منع النسل أو تحديده أو تنظيمه مضمونه: تحريم تحديد النسل مطلقًا؛ لمصادمته للفطرة الإنسانية السليمة التي فطرنا الله عليها، ولمنافاته لمقاصد الشريعة الإسلامية من الترغيب في النسل، ولما فيه من إضعاف كيان المسلمين بتقليل عددهم، ولأنه شبيه بعمل أهل الجاهلية، وفيه سوء ظن بالله.

ولا يجوز منع الحمل بأي وسيلة من الوسائل إذا كان الحامل عليه خوف الفقر، لما في ذلك من سوء ظن بالله وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٧٩).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ١٤١).



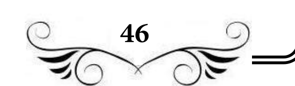
عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

أما إذا كان منع الحمل لضرورة: ككون المرأة لا تلد ولادةً طبيعية، بل تضطر إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد فيجوز ذلك. وأما أخذ الأدوية من حبوب ونحوها لتأخير الحمل فترةً لمصلحة تعود إلى الزوجة كضعفها ضعفًا لا تقوى معه على تتابع الحمل بل يضرها ذلك فلا حرج فيه، وقد يتعين تأخيره فترة حتى تستجم، أو منعه بالمَرَّة إذا تحقق الضرر، فإن الشريعة جاءت بجلب المصالح ودرء المفاسد، وتقديم أقوى المصلحتين وارتكاب أخف الضررين(١).

٢ - **وسئل الشيخ ابن عثيمين:** متى يجوز للمرأة استخدام حبوب منع الحمل، ومتى يحرم عليها ذلك؟ وهل هناك نص صريح أو رأي فقهي بتحديد النسل؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي ينبغي للمسلمين أن يكثروا من النسل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا؛ لأن ذلك هو الأمر الذي وجه النبي ﷺ في قوله: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**» ولأن كثرة النسل كثرة للأمة، وكثرة الأمة من عزتها كما قال تعالى ممتنًّا على بني إسرائيل بذلك: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦] وقال شعيب لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦]. ولا أحد ينكر أن كثرة الأمة سبب لعزتها وقوتها على عكس ما يتصوره أصحاب ظن

(١) فتاوى علماء البلد الحرام: (٤٩٣).



السوء الذين يظنون أن كثرة الأمة سبب لفقرها وجوعها.

إن الأمة إذا كثرت واعتمدت على الله ﷻ وآمنت بوعده في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦] فإن الله ييسر لها أمرها، ويغنيها من فضله.

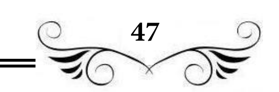
بناءً على ذلك تتبين إجابة السؤال: فلا ينبغي للمرأة أن تستخدم حبوب منع الحمل إلا بشرطين:

الشرط الأول: أن تكون في حاجة لذلك مثل أن تكون مريضةً لا تتحمل الحمل كل سنة، أو نحيفة الجسم، أو بها موانع أخرى تضرها أن تحمل كل سنة.

الشرط الثاني: أن يأذن لها الزوج؛ لأن للزوج حقًا في الأولاد والإنجاب، ولابد كذلك من مشاورة الطبيب في هذه الحبوب، هل أخذها ضار أو ليس بضار.

فإذا تم الشرطان السابقان فلا بأس باستخدام هذه الحبوب، لكن على ألا يكون ذلك على سبيل التأبيد، أي لا تستعمل حبوبًا تمنع الحمل منعًا دائمًا؛ لأن في ذلك قطعًا للنسل.

وأما الفقرة الثانية من السؤال فالجواب عليها: أن تحديد النسل أمر لا يمكن في الواقع، ذلك أن الحمل كله بيد الله ﷻ، ثم إن الإنسان إذا حدد عددًا معينًا فإن هذا العدد قد يصاب بآفة تهلكه في سنة واحدة ويبقى حينئذٍ لا أولاد له ولا نسل له.. والتحديد أمر غير وارد بالنسبة للشريعة



الإسلامية، ولكن منع الحمل يتحدد بالضرورة على ما سبق في جواب الفقرة الأول.

واما الفقرة الثالثة من السؤال والخاصة بالعزل أثناء الجماع بدون سبب، فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا بأس به لحديث جابر ﵁: «**كنا نعزل والقرآن ينزل**» يعني في عهد النبي ﷺ ولو كان حرامًا لنهى الله عنه.

ولكن أهل العلم يقولون: إنه لا يعزل عن الحرة إلا بإذنها؛ لأن لها حقًا في الأولاد، ثم إن في عزله بدون إذنها نقصًا في استمتاعها، فاستمتاع المرأة لا يتم إلا بعد الإنزال. وعلى هذا ففي عدم استئذانها تفويت لكمال استمتاعها، وتفويت لما يكون من الأولاد ولهذا اشترطنا أن يكون بإذنها[1].

(١) فتاوى علماء البلد الحرام: (٥١١، ٥١٢).



التنازل عن الحق خوفًا على الرزق

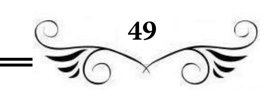
٥

إنَّ المؤمن لا يتنازل عن دينه الحق وأحكامه أبدًا حرصًا على رزق أو خوفًا من انقطاعه، مادام يعلم أن رزقه بيد خالقه، ولا يخضع ولا يذل خوف الفقر، ولا يركن إلى عدوه خشية قطع المؤنة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

كم ذلت من رقاب، ودنست من قلوب وهي ترتقب رزقها عند مخلوق تخضع له وتذل له؟ ترتكب الحرام وتترك أوامر الله، وتخالف شريعة الله وتُحَكِّم غيرها خوفًا أن يقطع رزقها مخلوق مثلها، أو أن يحل الفقر في ساحتها.

وفي الآية الكريمة أمر من الله لعباده المؤمنين بنفي المشركين، وأن لا يقربوا المسجد الحرام، وقال لهم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨] والعيلة: الفقر (وكان المسلمون لما منعوا المشركين من الموسم وهم كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات، قذف الشيطان في قلوبهم الخوف من الفقر، وقالوا: من أين نعيش؟ فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله. قال الضحاك: ففتح الله عليهم باب الجزية من أهل الذمة بقوله ﷻ: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] الآية، وقال عكرمة:



أغناهم الله بإدرار المطر والنبات وخصب الأرض، فأخصبت تبالة وجرش، وحملوا إلى مكة الطعام والودك، وكثر الخير، وأسلمت العرب أهلُ نجدٍ وصنعاءَ وغيرهم، فتمادى حجهم وتجرهم، وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم)[1].

۞ ۞ ۞

ويخيب ظن أهل الزيغ والنفاق يوم أن يضيقوا على المؤمنين سبل العيش، ظانين تنازل المؤمنين عن دينهم ومبادئهم وأخلاقهم وقيمهم وعزتهم ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

۞ ۞ ۞

تنازل بعض مرضى القلوب في دينهم، فأباحوا الربا في مجتمعاتهم، وشجعوا السياحة الممقوتة، وأفسحوا للشر مجالًا خوفًا من الفقر، وزيادة في الرزق -زعموا- فجاء الفقر، وذهب الرزق، وحاربوا الرزاق فأبعدهم الله.

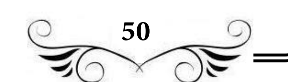
۞ ۞ ۞

وعزة المؤمن تأبى له أن يتنازل في دينه وإن هُدد وحورب في رزقه، ولئن سدَّ المخلوقون بابًا فإن الخالق يفتح له أبوابًا.

اغن عن المخلوق بالخالق ... تسد على الكاذب والصادق

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٩٥).



واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غير الله من رازق

من ظن أن الناس يغنونه ... فليس بالرحمن بالواثق

أو ظن أن المال من كسبه ... زلت به النعلان من حالق

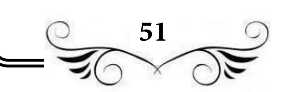
نماذج إيمانية:

لمَّا خرج صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مهاجرًا تبعه أهل مكة، فنثل كنانته، فأخرج منها أربعين سهمًا فقال: لا تصلون إليَّ حتى أضع في كل رجل منكم سهمًا ثم أصير بعده إلى السيف فتعلمون أني رجل، وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم.

ونزلت على النبي ﷺ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة:٢٠٧] الآية. فلما رآه النبي ﷺ قال: «**أبا يحيى ربح البيع**» وتلا عليه الآية(١).

وهذه الآية وإن كانت نزلت في صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهي تشمل كل من اتصف بهذا الوصف، وأَولاهم أصحاب نبينا ﷺ الذين أثنى عليهم ربنا بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[الحشر: ٨،٩]

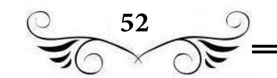
(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه. وذكره الشيخ مقبل في الصحيح المسند من أسباب النزول.



وهذا عفَّان بن مسلم محدث العراق فاسمع خبره، قال حنبل بن إسحاق: حضرت أبا عبد الله أحمد ويحيى بن معين عند عفَّان بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم للمحنة -وكان أول من امتحن من الناس عفَّان- فسأله يحيى بن معين من الغد بعدما امتحن وأبو عبد الله حاضر ونحن معه فقال له يحيى: يا أبا عثمان، أخبرنا بما قال لك إسحاق بن إبراهيم وما رددت عليه. فقال عفان ليحيى: يا أبا زكريا، لم أُسَوِّد وجهك ولا وجوه أصحابك، يعنى بذلك أنى لم أجب. فقال له: كيف كان؟ قال: دعاني إسحاق بن إبراهيم فلما دخلت عليه قرأ عليَّ الكتاب الذي كتب به المأمون من أرض الجزيرة من الرقة فإذا فيه: امتحِنْ عفَّان وادعه إلى أن يقول القرآن كذا وكذا فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبت به إليك فاقطع عنه الذي يُجرَى عليه -وكان المأمون يجرِي على عفان خمسمائة درهم كل شهر- قال عفَّان: فلما قرأ الكتاب قال لي إسحاق بن إبراهيم: ما تقول؟ قال عفَّان: فقرأت عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ١-٢] حتى ختمتها فقلت: مخلوق هذا؟ فقال لي إسحاق بن إبراهيم: يا شيخ، إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يُجرَى عليك، وإن قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا عنك نحن أيضا. فقلت له: يقول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢] قال فسكت عنى إسحاق وانصرفت. فسُرَّ بذلك أبو عبد الله ويحيى ومن حضر من أصحابنا[1].

---

(١) تاريخ بغداد: (١٢ / ٢٧١).



وعن إبراهيم يعني ابن الحسين بن ديزيل قال:

لما دُعي عفَّان للمحنة كنت آخذًا بلجام حماره، فلما حضر عُرِضَ عليه القول فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحبس عطاؤك. قال: وكان يُعطَى في كل شهر ألف درهم. فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

قال: فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره. قال: وكان في داره نحو أربعين إنسانا. قال: فدَقَّ عليه داقٌّ البابَ، فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات ومعه كيس فيه ألف درهم فقال: يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين، وهذا في كل شهر(١).

إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

أبيا لنائل ذي نعمة ... تراه بما في يديه أبيا

فإن إراقة ماء الحيا ... ة دون إراقة ماء المحيا

وهذا الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فانظروا شعره وشعاره حيث يقول:

أمطري جبال سرنديب ... وأفيضي آبار تكرور تبرًا

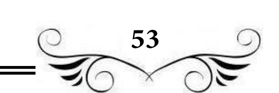
أنا إن عشت لست أعدم قوتًا ... وإذا مت لست أعدم قبرًا

همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفرًا

❁ ❁ ❁

---

(١) نفس المصدر.



المؤمن لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفًا على رزق:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ**» رواه الإمام أحمد[1].

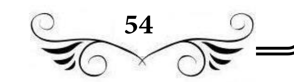
قال الألباني:

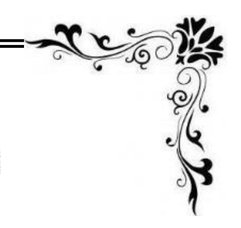
وفي الحديث: النهي المؤكد عن كتمان الحق خوفًا من الناس، أو طمعًا في المعاش.

فكل من كتمه مخافة إيذائهم إياه بنوع من أنواع الإيذاء كالضرب والشتم، وقطع الرزق، أو مخافة عدم احترامهم إياه، ونحو ذلك، فهو داخل في النهي ومخالف للنبي ﷺ.

وإذا كان هذا حال من يكتم الحق وهو يعلمه فكيف يكون حال من لا يكتفي بذلك بل يشهد بالباطل على المسلمين الأبرياء ويتهمهم في دينهم وعقيدتهم مسايرةً منه للرعاع، أو مخافة أن يتهموه هو أيضا بالباطل إذا لم يسايرهم على ضلالهم واتهامهم؟! فاللهم ثبتنا على الحق، وإذا أردت بعبادك فتنةً فاقبضنا إليك غير مفتونين.

(١) انظر السلسلة الصحيحة (١٦٨).







هموم وقنوط وتسخط

أحيانًا تضيق على بعض الناس سبل العيش والرزق، ويرى جميع الأبواب موصدةً أمام ناظريه، فمن هؤلاء من يوفقه الله تعالى فيصبر ويتصبَّر مُمَنِّيًا نفسه بفرج من الله ويسر بعد عسر مع سعي وتوكل وثقة بكفاية الله.

٦

ومن هؤلاء من يتسخط ويسوء ظنه بالله تعالى وتقتله الهموم ويقنط من رحمة الله تعالى -والعياذ بالله تعالى- حتى يصل الأمر ببعضهم أن يقتل نفسه، أو يشعل في نفسه النيران.



فيا أيها المهموم:

ارضَ بما قسم الله لك وآمن بربك رازقًا ومدبرًا وحكيمًا.

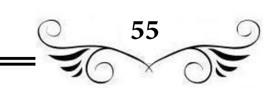
أتُظلمُ الدنيا أمام عينيك ونور الإيمان في قلبك؟

قم مع الطير الضعيفة حلِّقْ، تخرج جائعةً ما في بطنها شيء وترجع شَبْعَى رَيّا.

أيها المهموم:

بعد العسر يسر، بل معه، ولن يغلب عسر يسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥-٦].

بعد الشدة فرج، بعد الظلمة نور، وما كتبه الله لك واصل إليك.



ألا فاصبرْ على الحدَثِ الجليلِ ... وداوِ جَواكَ بالصبْر الجميلِ

ولا تيأسْ فإنِ اليأسَ كفرٌ ... لعل اللّه يُغْني عن قليلِ

وإِن العسرَ يتبعُه يسارٌ ... وقولُ اللّهِ أصدقُ كل قيلِ

۞ ۞ ۞

أيها المهموم:

لو أنك أخذت تبحث في أحوال الناس وقصصهم لرأيت كثيرًا من الناس مثلك، ولَسمعت كثيرًا منهم يتحدثون إليك قائلين: مرت علينا أيام مثل أيامك، همٌّ وغمٌّ واستبطاء للرزق، ثم يفتح الله أبوابًا فيها الخير والفرج من حيث لا نحتسب.

وكُلُّ شَدِيدَةٍ نزَلَتْ بقَوْمٍ ... سيَأْتي بعْدَ شِدَّتِها رَخاءُ

۞ ۞ ۞

وقل للمهموم:

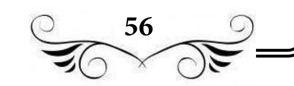
بهمك تحل المشكلة ويزاد في الرزق؟ فسيقول: لا. فقل: فعلام الهم؟!!

لما رأيتك قاعدًا مستقبلي ... أيقنت أنك للهموم قرين

فارفض لها وتعرَّ عن أثوابها ... إن كان عندك للقضاء يقين

هوِّن عليك وكن بربك واثقًا ... فأخو التوكل شأنه التهوين

طرح الأذى عن نفسه في أمره ... من كان يعلم أنه مضمون



(سئل أحد الصالحين عن سبب توبته فقال: كنا في سنة جدباء، والناس في قحط شديد وبلاء جهيد، فرأيت غلامًا يمرح ويضحك فقلت له: ألا تخشى الفقر والجوع؟!

فقال: إن سيدي عنده قرية وفيها بستان مليء من كل الثمار؛ فعلام أخاف وأحزن؟!

فقلت: إن هذا العبد لا يستوحش لأن مخدومه يملك بستانًا! فكيف أستوحش وأحزن وربي يملك خزائن السماوات والأرض؟!! فانتبهت وتبت إلى الله عز وجل.

فاليأس والقنوط إنما ينشأ من انقطاع الصلة بملك الملوك، والأحزان والهموم التي تحول حياة كثير من الناس إلى جحيم إنما هي من البعد عن ملك الملوك والطمع فيما عند المخلوق؛ ولهذا قيل: لو رجعت إليه في أول الشدائد لأمدك بالفوائد، ولو رجعت إلى أشكالك لزادوا في أشغالك)[1].

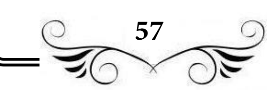
❁ ❁ ❁

قال شميط بن عجلان: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي ثلاثة أيام: فقد مضى أمس بما فيه، وغدًا أمل لعلك لا تدركه، إنك إن كنت من أهل غدٍ .. فإن غدًا يجيء برزق غد. إن دون غد يومًا و ليلةً تُخترم فيها أنفس كثيرة، ولعلك المُختَرَمَ فيها، كفى كل يوم همّه[2].

---

(١) المنهاج الأسنى (٢/ ٢٦٧).

(٢) شعب الإيمان (٢/ ١٠٤).



يا صاحب الهم إن الهم منفرج **أبشر بخير فإن الفارج الله**

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه **لا تيأسن فإن القادر الله**

والله مالك غير الله من أحد **فحسبك الله في كل لك الله**

إذا بُليت فثق بالله وارض به **إن الذي يكشف البلوى هو الله**

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته **ما لامرئ حيلة فيما قضى الله**

والله يحدث بعد العسر ميسرة **لا تجزعن فإن الخالق الله**

❁ ❁ ❁

واعلم أيها المهموم أن الله تعالى هو الجبار.. جابر القلب الكسير، يغني الفقير، وييسر العسير، من وثق بكفايته ورجاه ما خاب.

روى الإمام البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، **هَلَكَ المَالُ، وَجَاعَ العِيَالُ**، فَادْعُ اللهَ لَنَا أَنْ يَسْقِيَنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ وَمَا فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ، قَالَ: فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ المَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، قَالَ: فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَفِي الغَدِ، وَمِنْ بَعْدِ الغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ إِلَى الجُمُعَةِ الأُخْرَى، فَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ -أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَهَدَّمَ البِنَاءُ وَغَرِقَ المَالُ، فَادْعُ اللهَ لَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا**» قَالَ: فَمَا جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا تَفَرَّجَتْ، حَتَّى صَارَتِ المَدِينَةُ فِي مِثْلِ الجَوْبَةِ حَتَّى سَالَ الوَادِي، وَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، قَالَ: فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا

حَدَّثَ بِالْجَوْدِ.

والْجَوْدُ -بفتح الجيم-: المطر الغزير.

صبرًا جميلًا ما أقرب الفرجا	من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى	ومن رجاه يكون حيث رجا

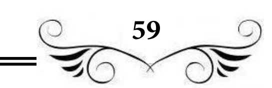
❁ ❁ ❁

وربك أيها المهموم:

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين، ومن شأنه أن يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز قومًا ويذل قومًا، ويشفي مريضًا ويفك عانيًا ويجيب داعيًا ويعطي سائلًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

يا فاطر الخلق البديع وكافلًا	رزق الجميع سحابُ جودك هاطل
يا عالم السرِّ الخفي ومنجز الوعـ	ـد الوفيِّ قضاءُ حكمك عادلُ
عظمت صفاتكَ يا عظيم فجلَّ أن	يحصي الثناء عليك فيها قائل
الذنب أنت له بمنك غافرٌ	ولتوبة العاصي بحلمك قابلُ
وإذا دجا ليل الخطوب وأظلمت	سبل الخلاص وخاب فيها الآملُ
وأيستَ من وجه النجاة فمالها	سببٌ ولا يدنو له متناولُ
يأتيك من ألطافه الفرج الذي	لم تحتسبه وأنت عنه غافلُ



وأخيرًا .. أيها المهموم:

تسلح بالدعاء، واسعَ في طلب الرزق من أسبابه واثقًا بالله وكفايته، واستمع لقول الهادي المبين محمد ﷺ وهو يقول: « **مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ الْمَعَادِ كَفَاهُ اللهُ سَائِرَ هُمُومِهِ وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ من أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِا هَلَكَ**»[1].

وقوله ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»(٢).

... وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.

واعلم أن الغنى ليس عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس.

قال ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» رواه مسلم

يا نفسُ صبرًا واحتسابًا إنّها ... غمَرات أيامٍ تمرُّ وتنجلي

في الله هُلْكُكِ إن هلكتِ حميدةً ... وعليه أجرك فاصبري وتوكّلي

لا تيأسي من روح ربِّك واحذري ... أن تستقري بالقُنوط فتُحذَلي[3]

---

(١) صحيح الجامع: (٦١٨٩).

(٢) صحيح الجامع: (٦٥١٠).

(٣) الوافي في الوفيات ترجمة ابن النضر علي بن محمد.



أكل الحرام

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ»[1].

٧

و عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فاتَّقُوا اللهَ وَأَجمِلُوا فِي الطَّلبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[2].

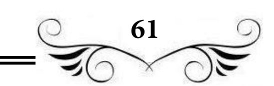
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» رواه مسلم

---

(١) صحيح الجامع: (٢٧٤٢).

(٢) صحيح الجامع: (٢٠٨٥).



قال القرطبي: سوَّى الله تعالى بين النبيين والمؤمنين في الخطاب بوجوب أكل الحلال وتجنب الحرام، ثم شمل الكل في الوعيد الذى تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] صلى الله على رسله وأنبيائه. وإذا كان هذا معهم فما ظن كل الناس بأنفسهم(١).

وفي هذا الحديث ذِكرُ أربعة أسباب من أسباب إجابة الدعاء، ولكنه آكل للحرام «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»، وهذه الأسباب:

(**أحدها**: إطالةُ السفر، والسفر بمجرَّده يقتضي إجابةَ الدعاء، كما في حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ**» خرجه أبو داود وابن ماجه، والترمذي وعنده: «**دَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**» ورُوي مثله عن ابن مسعود ﵁ من قوله. ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

والثاني: حصولُ التبذُّل في اللِّباس والهيئة بالشعث والاغبرار، وهو -أيضـًا- من المقتضيات لإجابة الدُّعاء، كما في الحديث المشهور عن النَّبيِّ ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**».

الثالث: مدُّ يديه إلى السَّماء، وهو من آداب الدُّعاء التي يُرجى بسببها

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ١٢٨).

إجابته، وفي حديث سلمانَ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**» خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وروي نحوه من حديث أنس وجابر وغيرهما.

والرابع: الإلحاح على الله عَزَّوَجَلَّ بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء)[١].

ومع هذه الأسباب العظيمة المقتضية إجابة الدعاء، فبسبب أكل الحرام يقول ﷺ: «**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**».

وآكل الحرام:

(إن أكل منه لم يُؤجر عليه، وإن تصدق به لم يُقبل منه، وإن أمسكه لم يُبارك له فيه، وإن دعا وهو في جوفه لم يُستجب له، وإن تركه لورثته كان زاده إلى النار، لغيره غنمه، وعليه إثم تحصيله وغرمه، وكم تسلط عليه في حياته من أسباب الهلاك والإتلاف، حتى يُنفَق رياء، وبين التبذير والإسراف)[٢].

❁ ❁ ❁

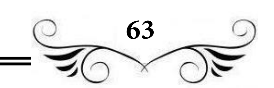
وعن كعب بن عجرة قال: قال النبي ﷺ: «**يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ وَدَمٌ نَبَتَا عَلَى سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ: فَغَادٍ فِي فَكَاكِ نَفْسِهِ فَمُعْتِقُهَا، وَغَادٍ مُوبِقُهَا**» رواه ابن حبان.

عن أبي هريرة قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦).

(٢) من خطبة بعنوان الفتن في الأموال والأزواج والأولاد والأسماع للشيخ عبد الله بن صالح القصير.



الجَنَّةَ، فَقَالَ: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**» وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «**الفَمُ وَالفَرْجُ**» رواه الترمذي.

فأفٍّ لمن كان بطنه سببًا في دخوله النار.

وهذه البطون التي استساغت أكل الحرام في الدنيا، غدًا تنتن بعد أن تنتفخ وتتفجر ويلهو الدود في جنباتها.

فعند البخاري عن أبي تميمة قال:

شَهِدْتُ صَفْوَانَ وَجُنْدَبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يُوصِيهِمْ، فَقَالُوا: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شيئا؟ قال سمعته يقول: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ: وَمَنْ يُشَاقِقْ يَشْقُقِ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»

فَقَالُوا: أَوْصِنَا، فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ.

وهذه البطون لو أن أصحابها استحيوا من الله حق الحياء لما وضعوا فيها إلا حلالًا، وهم يعلمون اطلاع الرب ﷻ وعلمه بما يخفون ويعلنون، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ**» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ**

زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[1].

❁ ❁ ❁

وها نحن في زمان يصدق عليه قول نبينا ﷺ «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ**» رواه البخاري

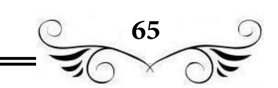
ففي هذا الزمان يؤكل الربا، وتؤخذ الرشوة، ويباع ويشترى بالحلف الكاذب والغش، ويتاجر فيما حرم الله، ويؤخذ المال من غير حلِّه، ويؤكل مال اليتيم وأموال الناس بالباطل، وتستباح المحرمات بأدنى شبهة... وهلم جرًّا.

❁ ❁ ❁

ومما طمَّ وعمَّ في بلاد المسلمين أكلُ الربا، فبُنيت لأجله البنايات، وأقاموا على أبوابها الحراس، وسُنَّت لأجله قوانين ما أنزل الله بها من سلطان، وسمَّوه بغير اسمه، فحلَّت في البلاد العقوبات، ومحقت البركات، وغضب رب الأرض والسماوات، لأكلهم الربا وقد نهوا عنه، وربنا يقول وقوله الحق:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

(١) رواه الترمذي، صحيح الترغيب (٣٣٣٧).



إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٩].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: « **الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ** »(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا ظَهَرَ فِي قَومٍ الرِّبا والزِّنا إِلَّا أَحَلُّوا بِأنفُسِهِم عِقَابَ اللهِ»(٢).

ومع كل هذا الوعيد، والترهيب الشديد، أبى أكثر الناس إلا التعرض لحرب الله.

❁ ❁ ❁

وبعض من ابتلي بالمكاسب المحرمة إذا نُصح بتركها قال: من أين آكل؟ وكأن أبواب الرزق الحلال كلَّها قد أغلقت في وجهه فلن يكون رزقه إلا من الحرام.

ونسي أن الرزاق سبحانه فتح من أبواب الرزق الحلال ما يغني عن الحرام، وأن الحلال كثير طيب مبارك وفيما أحل الله غنىً عما حرم.

عن سعيد بن أبي الحسن قال: كُنْتُ عِنْدَ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذ أَتَاهُ رَجُلٌ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، صحيح الترغيب: (١٨٥٧).

(٢) صحيح الجامع: (٥٦٣٤).

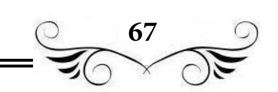
فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدِي، وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لاَ أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا**». فَرَبَا الرَّجُلُ رَبْوَةً شَدِيدَةً، وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ.(١) رواه البخاري.

فعلى العاقل أن ينظر في مكسبه ومعاشه، فإذا كان مما حرَّم الله تعالى فيجب عليه أن يتحول عنه ويطلب الرزق الحلال، وما فعل عبد ذلك إلا عوضه الله خيرًا مما ترك، ورزقه من حيث لا يحتسب؛ لوعده سبحانه وهو لا يخلف الميعاد ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق] وقد يضعف الإنسان في البداية وهو يترك مكسبًا محرمًا ويخوفه الشيطان: من أين يأكل؟ وإذا ترك هذا المكسب قد لا يجد غيره فيظل عاطلًا، ابقَ فيه حتى تجدَ غيره، وغير ذلك مما يلقيه الشيطان الرجيم، فليتذكر العاقل قول ربه سبحانه: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ووالله والله إن وعد الله لحق، وإن وعد الشيطان لباطل، ولن يُضَيِّع اللهُ عبدًا اعتصم به، وترك شيئًا حرمه عليه ابتغاء وجهه ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

---

(١) قوله فربا الرجل بالراء والموحدة أي انتفخ قال الخليل ربا الرجل أصابه نفس في جوفه وهو الربو والربوة وقيل معناه ذعر وامتلأ خوفا وقوله ربوة بضم الراء وبفتحها. فتح الباري (٤/ ٤١٦).





أسوة حسنة:

والمسلم وهو يتحرى ما يدخل جوفه، وما يكسب من رزق، أسوته في ذلك هو نبيه ﷺ.

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عن النبي ﷺ قال «**إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي، فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي، فَأَرْفَعُهَا لِآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً، فَأُلْقِيهَا**»

ورَوَى عنه أيضًا أَنَّ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِالفَارِسِيَّةِ: «**كِخْ كِخْ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟**»

وعلى الطريق وَرَعُ صِدِّيقِ هذه الأمة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلاَمُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري أيضًا.

ومن فقه سلفنا الصالح الاهتمام بشأن أكل الحلال والحث عليه:

(**قال وهيب بن الورد**: لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك شيء حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أم حرام.

ويقول ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقيًّا حتى يكون لنفسه أشد محاسبةً من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه، ومطعمه، ومشربه.

ويقول حذيفة المرعشي: جماع الخير في حرفين: حل الكسرة، وإخلاص العمل لله.

ويقول أبو حفص النيسابوري: أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه الافتقار إليه، وملازمة السنة، وطلب القوت من حِلِّه.

وقال يوسف بن أسباط: إذا تعبَّد الشاب يقول إبليس: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعمه مطعم سوء قال: دعوه، لا تشتغلوا به، دعوه يجتهد وينصب، فقد كفاكم نفسه.

وقال سهل بن عبد الله: من نظر في مطعمه دخل عليه الزهد من غير دعوى.

وسأل رجل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول فقال: انظر كسرتك التي تأكلها من أين تأكلها؟ وقم في الصف الأخير، وكأنَّه رَحِمَهُ اللهُ رأى من الرجل استهانة بهذا الأمر، فأحب أن ينبهه إليه؛ لأنه أهم مما سأل عنه.

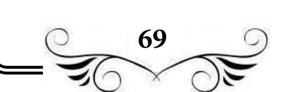
وقال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه.

وقال يحيى بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء، وأسنانه لقم الحلال.

وقال ابن المبارك: رد درهم من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف.

وكان يحيى بن معين ينشد:

المال يذهب حله وحرامه ... يومًا وتبقى في غد آثامه



لـــيس التقـــي بمتـــق لألهـــه حتـى يطيـب شـرابه وطعامـه

ويطيب ما يحوي وتكسب كفه ويكون في حسن الحديث كلامه

نطـق النبـي لنـا بـه عـن ربـه فعلـى النبـي صـلاته وسـلامه

لقد كانوا -رحمة الله عليهم- يؤكدون على هذا المعنى كثيرًا، حتى إن الفضيل رَحِمَهُ اللَّهُ لما أراد أن يُعرِّف أهل السنة قال: أهل السنة من عرف ما يدخل بطنه من حلال.

وقال رجل للربيع بن خثيم: أوصني. فقال له الربيع: أوصيك أن تفعل صالحًا وتأكل طيبًا.

وقال السري: النجاة في ثلاثة: في طيب الغذى، وكمال التقى، وطريق الهدى.

ونظر حذيفة المرعشي إلى الناس يتبادرون إلى الصف الأول فقال: ينبغي أن يتبادروا إلى الأكل من الحلال[1].



نصيحة بيحانية:

يقول الشيخ محمد بن سالم البيحاني - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (ونصيحتي لله ولرسوله وللتجار الذين يجمعون المال من الحرام والحلال أن يتقوا الله في معاملتهم، وأن لا يكونوا من أهل قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

(١) نقلًا عن أطب مطعمك. علي بن محمد الدهامي، دار القاسم، وشعب الإيمان (٥/ ٦٠).

ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠] ، وأن لا يقولوا كما قالت بنو إسرائيل: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، وأن لا تغرهم الفائدة والأرباح التي يكسبونها ببيع الخمر والمسكرات كلها والأفلام السينمائية التي يقتلون بها الفضيلة ويهدمون بها الأخلاق ويسوقون بها الأمة والبلاد إلى الهاوية فكل ذلك حرام، وليعلموا أن الله لا يبارك لهم فيما كسبوه، ولا ينفعهم ما جمعوه ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] [١].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وباتخاذ المكر والخديعة والغش في الأخذ والعطاء وسيلة للرزق تمحق البركات، وتذهب فائدة السعي في طلبه، وربما استفاد أحد المتبايعين ربحًا محسوسًا فكان سببًا في ذهاب رأس المال وأرباحه، ومن أمثال العوام: الحرام يذهب الحلال والحرام[٢].



(١) إصلاح المجتمع: (٣٩٧).

(٢) إصلاح المجتمع: (٢٤).





سـؤال الخلـق

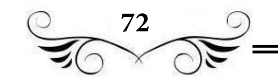
لأن المؤمن يعلم أن رزقه من عند ربه فهو لا يطلبه إلا منه، ولا يدعو إلا إياه، قد كف يده، وصان وجهه عن سؤال الخلق والوقوف بأبوابهم، واعتصم بالخالق الرزاق، ففاز بعزة النفس، واحتفظ بماء الوجه.

وأما من ضعف إيمانه فقد دنس نفسه، وبذل ماء وجهه، ومد يده لمخلوق مثله ينتظر ما تجود به يده.

(فالعبد لا بد له من الرزق وهو محتاج إلى ذلك، فاذا طلب رزقه من الله صار عبدًا لله فقيرًا إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق فقيرًا إليه.

ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمةً في الأصل وانما أبيحت للضرورة)[1] (وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨] وقول النبي ﷺ لابن عباس: «**إذا سَأَلت فاسأل الله وإذا استعنت فَاسْتَعِنْ بِالله**»، ومنه قول الخليل: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧] ولم يقل: فابتغوا الرزق عند الله؛ لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر كأنه قال: لا تبتغوا الرزق إلا عند الله، وقد قال

(١) العبودية: (٥٨).



تعالى: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء: ٣٢] والإنسان لابد له من حصول ما يحتاج إليه من الرزق ونحوه ودفع ما يضره وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله فلا يسأل رزقه إلا من الله ولا يشتكي إلا إليه كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦])[1] **(وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته له وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه.**

كما قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره؛ واحتج إلى من شئت تكن أسيره.)[2].

سؤال الله دون خلقه هو المتعين:

واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلًا وشرعًا وذلك من وجوه متعددة، منها:

أن السؤال فيه بذل ماء الوجه وذلة للسائل وذلك لا يصلح إلا لله وحده، فلا يصلح الذل إلا له بالعبادة والمسألة، وذلك من علامات المحبة الصادقة

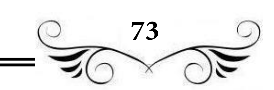
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ... عوضًا وإن نال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

---

(١) العبودية: (٦٧).

(٢) العبودية: (٦٩).



فإذا ابتليت ببذل وجهك سائلًا فابذلـه للمتكـرم المفضـال

ومنها: أن في سؤال الله عبوديةً عظيمةً؛ لأنها إظهار للافتقار إليه، واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج.

وفي سؤال المخلوق ظلم؛ لأن المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه، ودفع الضر عنها، فكيف يقدر على ذلك لغيره؟ وسؤاله إقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر. ويشهد لهذا المعنى حديث: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»

ومنها: أن الله يحب أن يُسأل، ويَغضبُ على من لا يسأله؛ فإنه يريد من عباده أن يرغبوا إليه، ويدعوه ويفتقروا إليه، ويحب الملحين في الدعاء، والمخلوق غالبًا يكره أن يُسأل لفقره وعجزه. قال ابن السماك: لا تسأل من يفر منك، واسأل من أمرك أن تسأله.

قال أبو العتاهية:

الله يغضـب إن تركـت سـؤاله وبنـي آدم حـين يسـأل يغضـب

فاجعـل سـؤالك للإلـه فإنمـا في فضـل نعمـة ربنـا نتقلـب

كان يحيى بن معاذ يقول: يامن يغضب على من لا يسأله، لا تمنع من قد سألك.

وأنشد بعض الأعراب:

أبا مالك لا تسأل الناس والتمس بكفيـك فضـل الله فـالله أوسـع

ولو يُسأل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

ومنها: أن الله يستدعي من عباده سؤاله، وينادي كل ليلة: «**هل من داعٍ، فأستجيبَ له؟ هل من سائل فأُعْطِيَه؟**» وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فأي وقت دعاه العبد وجده قريبًا مجيبًا ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب)(١).

سؤال المخلوق ظلم:

قال ابن القيم: وسمعته يقول - يعني شيخ الإسلام - في السؤال: هو ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق الخلق، وظلم في حق النفس.

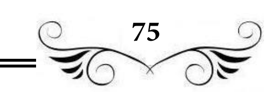
أما في حق الربوبية: فلما فيه من الذل لغير الله، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه، والتعوض عن سؤاله بسؤال المخلوقين، والتعرض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه.

وأما في حق الناس: فبمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال، واستخراجه منهم. وأبغض ما إليهم من يسألهم ما في أيديهم، وأحب ما إليهم من لا يسألهم. فإن أموالهم محبوباتهم، ومن سألك محبوبك فقد تعرض لمقتك وبغضك.

وأما ظلم السائل نفسه: فحيث امتهنها، وأقامها في مقام ذل السؤال، ورضي لها بذل الطلب ممن هو مثله، أو لعل السائل خير منه وأعلى قدرًا،

---

(١) نور الاقتباس شرح حديث ابن عباس لابن رجب.



وتَرَكَ سؤالَ من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقد أقام السائل نفسه مقام الذل، وأهانها بذلك، ورضي أن يكون شحاذًا من شحاذ مثله؛ فإن من تشحذه فهو أيضًا شحاذ مثلك، والله وحده الغني الحميد.

فسؤال المخلوق للمخلوق سؤال الفقير للفقير، والرب تعالى كلما سألته كرمت عليه ورضي عنك وأحبك، والمخلوق كلما سألته هنت عليه وأبغضك ومقتك وقلاك كما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

وقبيح بالعبد المريد، أن يتعرض لسؤال العبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد.

وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال**: كنا عند رسول الله تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: «**أَلَا تَبَايعُونَ رَسُولَ الله؟**» وكنا حديثي عهد ببيعة. فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: «**أَلَا تَبَايعُونَ رَسُولَ الله؟**» فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. فعلام نبايعك؟ فقال: «**أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَات الْخَمْس** -وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً- **وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**» قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا أن يناوله إياه.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»

وفيهما أيضًا عنه أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وذكر الصدقة

والتعفف عن المسألة: «**وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**» واليد العليا: هي المنفقة والسفلى: هي السائلة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»

وفي الترمذي عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي الْأَمْرِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ**» قال الترمذي: حديث صحيح.

وفيه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مرفوعًا:** «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ. وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ**»

وفي السنن والمسند عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ**» فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا.

وفي صحيح مسلم عن قبيصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي** ﷺ: «**إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكَ. وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ. فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا**



سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ فَسُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»[1].

نظرة إلى الواقع:

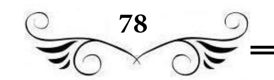
ومع هذه الأحاديث المباركة عن النبي ﷺ في ذم المسألة، فإنَّ بعض الناس قد اتخذ من المسألة مكسبًا مع غناه عنها، وبعضهم قد ألف مدَّ يدِه فما استطاع قبضها.

(وبين الصفوف وعلى أبواب المساجد ترى زمرًا من المتسولين يعرضون حاجتهم، ويذكرون فاقتهم، ويشغلون عباد الله عن التلاوة والذكر واستماع الخطب والمدرس، وقد يكتبون أوراقًا فيدورون بها على الصفوف، ويرمونها بين أيدي المعتكفين والركع السجود، وبعضهم يقوم فيعظ الناس ويخطبهم ويرغبهم في الآخرة وما عند الله ويحذرهم من الدنيا والاشتغال بها، ثم يقول: تصدقوا عليَّ جزاكم الله خيرًا، فأنا غريب وعابر سبيل وطالب علم منقطع، ومن أعان طالب علم ولو بقلم مكسور فكأنما بنى الكعبة سبع مرات، إلى غير ذلك من الاسترحام والكذب على الله ورسوله، ولو أخذ أحدهم حبلًا فجاء بحزمة من حطب أو كان حمَّالًا في السوق ونقط المواصلات لعاش كريمًا عفيفًا.

ومنهم النساء الفاتنات، والفتيات الكاعبات المائلات المميلات، يتعرضن للناس ويتعلقن بيد هذا وثوب هذا، ويضحكن لمن يعطيهن شيئًا، ويخاطبن الرجال بالفاحشة، ويلبسن -لا بارك الله فيهن- ملابس

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣٣).



الفجور، كاشفات الوجوه مصففات الشعور. والعلماء والمتعلمون يرون ذلك ويسمعون به فلا نكير ولا نصير على إزالة المنكر، وكأن الأمر لا يعنيهم، والفضيحة لا تؤذيهم، ورب متصدق على هؤلاء واولئك رحمةً بهم وعطفًا عليهم وهو لا يريد بصدقته إلا وجه الله، ولكنه أخطأ وأعان على معصية، ووضع الشيء في غير محله وأغرى السفهاء على البطالةِ وتركِ التكسب. وهذه مشكلة لابد من حلها والتفكير في أهلها.

أما الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ولا يسألون الناس إلحافًا فهم المنقطعون في البيوت، والمترفعون عن: هات يا فلان، وتصدق عليَّ جزاك الله خيرًا. لا يفطن لهم أحد فيتصدق عليهم، ولا يبثون شكواهم إلا إلى الله مولاهم. وقرص خبز وقطعة من اللحم والسمك في يد بعضهم تقع عند الله بمكان، وقليل من النقود يستعينون بها على حالهم هي والله خير لصاحبها المحسن بها من الدنيا وما فيها.)[١].

(وما يعرض حاجته، ويظهر فاقته وهو غني أو كسوب إلا امرؤ لا ثقة له بربه، ولا قناعة في قلبه، ومن رضي بما قسم الله بارك الله فيه، ومن وضع يده في قصعة غيره ذل له.)[٢].

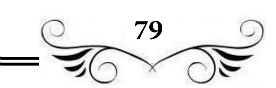
أعظم الظلم:

وأعظم الظلم طلب الرزق من الموتى في قبورهم بحجة أنهم أولياء، وأن لهم في برزخهم تصرفات، وأنهم يجيبون الداعي متى دعاهم، فمن

---

(١) إصلاح المجتمع: (٢٤١، ٢٤٢).

(٢) إصلاح المجتمع: (٢٤١).



دعاه بالرزق جاءه الرزق الوفير، ومن أراد منه الولد أعطاه الكثير، فيقدمون النذور، ويطوفون حول القبور باكين خاشعين متذللين، واعتقدوا في موتاهم أنهم ينفعون ويضرون، ويسمعون ويجيبون، ويقدرون فيعطون ويمنعون إلى غير ذلك مما لا يكون إلا لرب العالمين، ويسمونه تبركًا وتوسلًا.

وبربي، إن هذا هو الشرك العظيم، وإن زعم أصحابه أنهم يقولون: لا إله إلا الله؛ فإن معنى هذه الكلمة الطيبة: أنه لا معبود بحق إلا الله، وهؤلاء قد صرفوا العبادة لغير الله من دعاء ونذر وذبح وخوف ورجاء ومحبة وغير ذلك، فإلى الله وحده نشكو غربة الإسلام.

وأين أسماع قوم وأبصارهم من آيات الكتاب والحكمة، وهي بين أيديهم تنهاهم عن الشرك بأصرح كلام، وتبينه أحسن بيان، وهم يقرؤون ولا يفقهون من مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

(وأخبر جل ذكره أن هؤلاء المدعوين ما هم إلا خلق من خلق الله لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًا ولا نفعًا ولا رزقًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ

فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥].

فأي معنىً لدعائهم بعد قول الله ﷻ ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ؟!

بل أي معنىً للتوسل إليهم والاستغاثة بهم وقد أخبر الله عنهم أنهم أموات لا يسمعون الدعاء، ولا يملكون من ملك الله شيئًا فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فقد نفى سبحانه أنهم يسمعون دعاء من دعاهم، وأخبر أنه في حال كونهم يسمعون فإنهم لا يستطيعون الإجابة بحال من الأحوال وقد قال تعالى في موضع آخر من كتابه: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤])[١].

❁ ❁ ❁

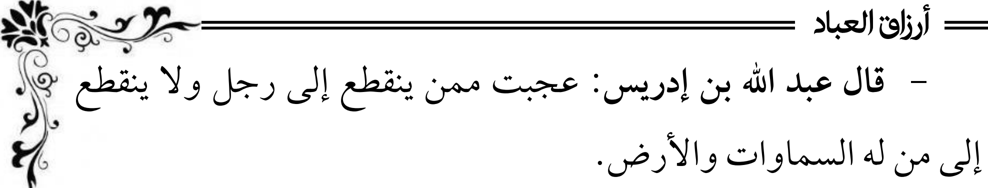
مما قيل في ذم السؤال:

إن الوقوف على الأبواب حرمان	**والعجز أن يرجو الإنسان إنسان**
حتّام تأمل مخلوقًا وتقصده	**إن كان عندك بالرحمن إيمان**

---

(١) بيت العنكبوت: (٢٧).





- **قال عبد الله بن إدريس**: عجبت ممن ينقطع إلى رجل ولا ينقطع إلى من له السماوات والأرض.

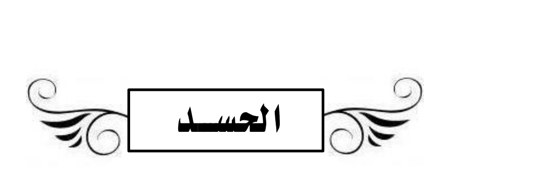
- **وقال بشر بن الحارث**: أما تستحي أن تطلب الدنيا ممن طلب الدنيا؟! اطلب الدنيا ممن بيده الدنيا.

قال يحيى بن معاذ الرازي: من طلب الفضل من غير ذي الفضل غرم، وإن ذا الفضل هو الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

- **قال ابن المعتز**:

دع النـــاس إذ طالمـــا أتعـــبوك ... وأد إلـــى الله وجـــه الأمـــل

ولا تطلـــب الـــرزق مـــن طالبيـــه ... واطلبـــه ممـــن بـــه قـــد كفـــل



الحسد

الحسد مرض ينشأ في النفوس الضعيفة، سببه الاعتراض على قسمة الله سبحانه فضلَه بين عباده، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

والمؤمن ينبغي أن يكون أبعد الناس عن هذا المرض؛ لأنه يؤمن أن الله سبحانه لا يُعترض على حكمه ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

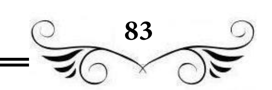
وأن له الحكمةَ البالغةَ في قضائه وقدره وفي تفضيل بعض خلقه على بعض في الرزق والعلم وغيره.

ألا قل لمن ظل لي حاسدًا أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه إذا أنت لم ترض لي ما وهب

والمؤمن إذا رأى أخاه في سعة من الرزق يحب له ذلك كما يحبه لنفسه، ويسأل الله له البركة، ويتلو قول ربه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وانظر إلى الحاسد ما أخبث قلبَه، وهو يترقب المحسود، ويتمنى أن تزول



نعم الله عنه وتتحول، ولو بذل المحسود له ما بذل ما ارتاح قلبه، كما قيل:

أعطيتُ كلَّ الناسِ من نفسي الرضا ... إِلا الحسودَ فإِنه أعياني

ما إِن لي ذَنْبًا إِليه عَلْمته ... إِلا تظاهرَ نِعْمةِ الرحمنِ

وأبى فما يُرضِيهِ إِلا ذلتي ... وذهابُ أمواليْ وقطعُ لساني

(**قال أبو حاتم**: الواجب على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها؛ فإن أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم. والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه، وهيهات أن يساعد القضاء، ما للحساد في الأحشاء)[1].

(**كان أبو عثمان يقول في مواعظه**: يا عبد الله في ماذا تتعب قلبك، وتنازع إخوانك، وتعادي على طلب الرياسة والعزِّ أشكالك وأخدانك، وتعمل في هلكة حياتك بالحسد لمن هو فوقك؟ كأنك لم تؤمن بمن أخبر أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء ويؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء؟ فاستعمل العلم في ظاهرك إن كنت تاجرًا أو كاسبًا أو زارعًا، وأجمل في الطلب واترك الحرام والشبهات جميعًا؛ فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وحظها من عزها ورياستها ورزقها، ولو هرب العبد من رزقه لأدركه رزقه كما لو فر من الموت لأدركه الموت)[2].

---

(١) روضة العقلاء (١/ ١٣٣).

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٩٨).

سلم لربك يا حسود ولاتكن ... فيمـــا يريـــد الله بـــالمتعرضِ

فالرزق مقسوم وما من موسر ... أو معســر إلا بـأمر قــد قضــي

وإذا أفــاض الله نعمتــه علــى ... عبــد فــأول مــا تشــاء وفــوِّضِ

واعلــم بــأن الله عــدل حكمــه ... سيان إن غضب الحسود وإن رضي





سوء التصرف

١٠

كيف يتصرف الناس في أرزاقهم التي أنعم الله بها عليهم؟ الناس في ذلك ثلاثة أصناف: طرفان مذمومان ووسط ممدوح، فالمذمومان: البخلاء و المسرفون، والممدوح من كان بينهما، يقول تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٩].

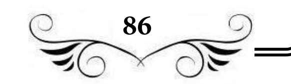
فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ (لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير، والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧])(١).

❁ ❁ ❁

فأما البخلاء فهم والله الفقراء وإن كانوا يملكون المال، قصرت

---

(١) تفسير السعدي (٤٥٦).



أيديهم بينما الكرام يتسابقون الخيرات، وحرموا أنفسهم وذويهم مما أباح الله لهم من الطيبات، أهله يتمنون له الموت حتى يحصلوا ما جمع لهم من الثروات، ويعوضوا ما فات.

كدودة القز ما تبنيه يهدمها   وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

فالبخيل أفقر الناس لأنه يجمع المال لغيره.

والبخيل سيء الظن بربه؛ لأنه إنما أمسك عن عدم إيمان بكفاية ربه له.

(**قال أبو الحسن موسى بن عيسى الدينوري**: الجود بالموجود غاية الجود، والبخل بالموجود سوء الظن بالمعبود)[(١)].

والبخيل أشد الناس خوفًا يخاف ألا يأتيه الدرهم، فإذا جاءه الدرهم يخاف أن يذهب عنه.

والبخيل أغبى الناس؛ لأنه ذهل عن حقيقة قد تكون مرةً على قلبه وهي: أن أمواله إن بقيت له، فهو لا يبقى لها بل يتحول عنها ولابد، كما قيل: الدنيا إن بقيت لك لم تبقَ لها.

وقد تأملت هذه المقالة فرأيت أصحاب الدنيا ثلاثة أصناف:

- قوم تزول دنياهم وهم أحياء باقون.
- وقوم تبقى دنياهم ولكنهم لا يبقون لها.
- وقوم يزولون ودنياهم في آن.

ثم قارنت ذلك بأقوام ذكروا في القرآن الكريم فرأيت من الصنف

---

(١) شعب الإيمان (٧/ ٤٤٥).



الأول صاحب الجنتين في سورة (الكهف) وأصحاب الجنة في سورة (ن).

ورأيت من الصنف الثاني فرعون هلك ودنياه باقية فورثها بنو إسرائيل ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

ورأيت في الصنف الثالث قارون ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١].

والسعيد من بني آدم من قدم دنياه أمامه قبل زواله وزوالها، فيقدم عليها يوم القيامة كما هي على حالها «**مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ**»[1].

وهذا هو البقاء الذي لا زوال معه كما قال نبينا ﷺ: «**يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي، مَالِي، إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**» رواه مسلم.

أخي:

فاحفظ دنياك ببذلها لربك قبل أن تزول أو تزول. ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

رأى الأحنف بن قيس في يد رجل درهمًا فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك

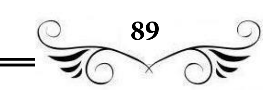
(١) صحيح الجامع: (١٠٧٠).

(**عن أبي بكر الهذلي قال: كنا نجلس عند الحسن فأتاه آت فقال**: يا أبا سعيد، دخلنا آنفا عـــلى عبد الله بن الأهتم، فإذا هو يجود بنفسه، فقلنا: يا أبا معمر، كيف تجدك؟ قال: أجدني والله وجعًا ولا أظنني إلا لما بي، ولكن ما تقولون في مائة ألف في هذا الصندوق لم تؤدَّ منها زكاة، ولم يوصل منها رحم؟ فقلنا: يا أبا معمر، فلم كنت تجمعها؟ قال: كنت والله أجمعها لروعة الزمان، وجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة.

فقال الحسن: انظروا هذا البائس، أنى أتاه الشيطان فحذره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، عما استودعه الله إياه، وعمره فيه. خرج والله منه كئيبًا حزينًا ذميمًا مليمًا. إيهًا عنك أيها الوارث، لا تُخدع كما خُدع صويحبك أمامك. أتاك هذا المال حلالًا فإياك وإياك أن يكون وبالًا عليك. أتاك والله ممن كان له جموعًا منوعًا، يدأب فيه الليل والنهار، يقطع فيه المفاوز والقفار، من باطل جمعه، ومن حق منعه، جمعه فأوعاه، وشده فأوكاه، لم يؤد منه زكاة، ولم يصل منه رحمًا، إن يوم القيامة ذو حسرات، وإن أعظم الحسرات غدًا أن يرى أحدكم ماله في ميزان غيره. أوَ تدرون كيف ذاكم؟ رجل آتاه الله مالًا وأمره بإنفاقه في صنوف حقوق الله فبخل به، فورثه هذا الوارث فهو يراه في ميزان غيره. فيالها عثرة لا تقال، وتوبة لا تنال)(١).



(١) الحلية (٢/ ١٤٥).



والبخل عن أداء ما أوجبه الله على عباده هو غاية البخل ومنتهاه، وأصحابه قد ذمهم الله في غير آية فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ٣٧]

وقال: ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ [محمد: ٣٨]

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤]

وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩](1).

ومن ذلك:

البخل عن الزكاة:

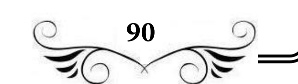
قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلاَ:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. الآية» رواه البخاري

(وتأمل حكمة الله عَزَّ وَجَلَّ في حبس الغيث عن عباده وابتلائهم بالقحط إذا

---

(١) شعب الإيمان (٧/ ٤٢١).



منعوا الزكاة وحرموا المساكين. كيف جُوزوا على منع ما للمساكين قِبَلَهم من القوت بمنع الله مادة القوت والرزق وحبسها عنهم، فقال لهم بلسان الحال: مَنعتم الحق فمُنعتم الغيث فهلا استنزلتموه ببذل ما لله قِبَلِكم)(١).

البخل عن الحج:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَقُولُ الله عز وجل إن عَبْداً أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ، تَمْضِي عَلَيْه خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لا يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ»(٢).

❁ ❁ ❁

وفي الطرف الآخر طائفة المسرفين المبذرين السفهاء، رزقهم الله المال فأنفقوه في غير محله، إما فيما حـــرم الله، وإما في المباح، ولكن من غير اعتدال، وهؤلاء هم إخوان الشياطين.

❁ ❁ ❁

من مظاهر السرف في مجتمعاتنا:

رضي بعضهم أن تحترق أمواله أمام ناظريه بنار السجائر والدخان فاشترى الهلاك بأمواله.

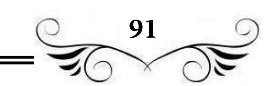
وجاد بعضهم على أوراق خضراء يلوكها في فمه، فبذل الغالي والرخيص.

(وهنا أجد مناسبةً وفرصةً سانحةً للحديث عن القات والتنباك،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٣).

(٢) صحيح الجامع: (١٩٠٩).



والابتلاءُ بهما عندنا كثير، وهما من المصائب والأمراض الاجتماعية الفتاكة، وإن لم يكونا من المسكر، فضررهما قريب من ضرر الخمر والميسر؛ لما فيهما من ضياع المال، وذهاب الأوقات، والجناية على الصحة، وبهما يقع التشاغل عن الصلاة، وكثير من الواجبات المهمة، ولقائل أن يقول: هذا شيء سكت الله عنه، ولم يثبت على تحريمه والمنع منه أي دليل، وإنما الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله وقد قال جل ذكره: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩] وقال تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية

وصوابٌ ما يقول هذا المدافع عن القات والتنباك، ولكنه مغالط في الأدلة، ومتغافل عن العمومات الدالة على وجوب الاحتفاظ بالمصالح، وحرمة الخبائث، والوقوع في شيء من المفاسد.

ومعلوم من أمر القات أنه يؤثر على الصحة البدنية؛ فيحطم الأضراس، ويهيج الباسور، ويفسد المعدة، ويضعف شهية الأكل، ويدر السلاس -وهو الودي- وربما أهلك الصلب، وأضعف المني، وأظهر الهزال، وسبب القبض المزمن، وأمراض الكلى.

وأولاد صاحب القات -غالبًا- يخرجون ضعاف البنية، صغار الأجسام، قصار القامة، قليل دمهم، مصابين بعدة أمراض خبيثة.

إن رمت تعرف آفة الآفات   فانظر إلى إدمان مضغ القات

القــات قتــل للمواهــب كلهــا ومولــد للهــمِّ والحســرات
مــا القــات إلا فكــرة مسمومــة ترمـي النفـوس بأبشـع النكبـات
ينســاب في الأحشــاء داءً فاتكًــا ويعـرض الأعصـاب للصـدمات
يــذر العقــول تتيــه في أوهامــها ويـذيقها كـأس الشـقاء العـاتي
ويميت في روح الشباب طموحه ويــذيب كــل عزيمــةٍ بثبــات
يغتـال عمـر المـرء مـع أمــواله ويريــه ألوانًــا مــن النقمــات
هــو لـــلإرادة والفتــوة قاتــلٌ هــو مــاحق للأوجـه النضـرات
فـإذا نظـرت إلـى وجـوه هواتـه أبصـرت فيهـا صـفرة الأمـوات

وهذا مع ما يبذل أهله فيه من الأثمان الغالية المحتاج إليها، ولو أنهم صرفوها في الأغذية الطيبة وتربية أولادهم وتصدقوا بها في سبيل الله لكان خيرًا لهم)(١).

(أما التنباك وهو التبغ، فضرره أكبر، والمصيبة به أعظم، ولا يبعد أن يكون من الخبائث التي نهى الله عنها، ولو لم يكن فيه من الشر إلا ما تشهد به الأطباء لكان كافيًا في تجنبه والابتعاد عنه... وهو شجرة خبيثة دخلت بلاد المسلمين في حوالي سنة ١٠١٢ هـ.

وانتشر في سائر البلاد، واستعمله الخاصة والعامة، فمن الناس من يأخذه في لفائف السيجارة، ومنهم من يشعله في المشرعة، ومنهم من

(١) إصلاح المجتمع: (٤٠٦، ٤٠٧).



يشربه بالنارجيلة -وهي المداعة- التي عم استعمالها سائر البلاد اليمنية حتى أصبحت زينة المجالس، وعروس البيوت، واستصحبها الناس في حضرهم وسفرهم، وأنشدوا لها وفيها القصائد والمقطوعات الشعرية:

مـــــداعتي نديمـــــــتي ... أنيســـــتي في وحـــــدتي

تقـــــول في قرقارهـــــا ... ياصـــاح خـــذني بـــالتي

وأخبث من ذا وذاك من يمضغ التنباك، ويجمعه مطحونًا مع مواد أخرى، ثم يمضغه بين شفتيه وأسنانه، ويسمى ذلك بالشمة، فيبصق متعاطيها حيث كان، بصاقًا تعافه النفوس، ويتقذر به المكان، وربما لفظها من فيه كسلحة الديك في أنظف مكان -وللناس فيما يعشقون مذاهب- وبعضهم يستنشق التنباك بعد طحنه -وهو البردقان- يصبه في أنفه صبًّا يفسد به دماغه، ويجني على سمعه وبصره، ثم لا ينفك عاطسًا، ويمتخط بيده وفي منديله أو على الأرض وأمام الجالسين.

وأخبرني أحد أصدقائي أن قريبه الذي يستعمل (البردقان) لما مات مكث ثلاث ساعات وأنفه يتصبب خبثًا.

ولو اقتصر الناس على ما لابد منه للحياة لاستراحوا من التكاليف والنفقات الشاقة، ولما عرضوا أنفسهم لشيءٍ من هذه الشرور)[١].

۞ ۞ ۞

وطائفة أخرى من السفهاء (من الملوك والأغنياء يصرفون المال

(١) إصلاح المجتمع: (٤٠٦/ ٤٠٨).

ويبددون الثروة في أوروبا وأمريكا، يصيفون هنالك، ويسيحون في العواصم الكبرى، لا ليستفيدوا منها شيئًا ولا ليعتبروا بما وصل إليه غيرهم من الأمم في الحضارة والمدنية، وإنما تَستفرغ جيوبهم وتعبث بأنفسهم الضعيفة المومساتُ والمراقصُ، ويذهب الجنيه والدولار في دور السينما وأماكن اللهو والمجون...

وعشرات الألوف، ومئات الألوف، يأخذها الأمير من خزانة الدولة ليصرفها في إحدى رحلاته للنزهة والاستجمام.

وكذبًا وخداعًا وسوء تدبير تكلف الخزائن، وتحمل ميزانية كثير من البلدان ما لا يعود عليها بالفائدة من مؤتمرات جنيف وسان فرانسسكو ومقر هيئة الأمم وحيث يستبد القوي بالضعيف، وتحكم كبريات الأمم على مصير الأمم الضعيفة.

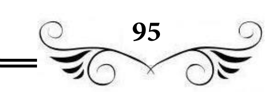
ألا لا سامح الله من يعبث بالأموال، ويتحكم في المساكين، وفي سبيل شهواته وملذاته يتعب غيره، ويكدح جاهدًا من أجله الفلاح في الأرض، والفقير الذي يدفع ما فرض عليه من الإتاوة والضريبة، وهو لا يجد القوة ولا يدري لمن يعمل)[1].

وفي كرة القدم ومبارياتها، والرياضة والمهرجانات والاحتفالات كم بددت من أموال، كانت الأكباد الجائعة، والأجساد العارية، والشباب العاطل أحقَّ بها وأهلها.

❁ ❁ ❁

وأما أعظم السفهاء سفاهة، فهم من شدوا رحالهم لزيارة القبور، وبذلوا

(١) إصلاح المجتمع: (٤١٤).



لها الأموال والذبائح والنذور، وطافوا بها كما يطاف بالبيت المعمور، وصرفوا أموالهم في الموالد المبتدعة، والزيارات الشركية، وأحيوا سنة المشركين، قد خسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة قامت على أعتابها الصلوات

۞ ۞ ۞

ألا فليتذكر هؤلاء المسرفون، أنهم عن أموالهم مسؤولون، وعما أنفقوا محاسبون.

قال ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»[1] رواه الترمذي

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ» رواه البخاري ومسلم.

فهذه بعض مظاهر السرف التي انتشرت في مجتمعاتنا، لو تتبعناها كلها لأعيتنا، وحسبنا ما ذكرنا دلالة على ما تركنا، وكل هذا ناتج عن خطيئة..

كفـــران النعـــم.

---

(١) صحيح الجامع: (٧٣٠٠).



كفران النعم

فإنه ما من قوم وسع الله عليهم رزقهم، وأنعم عليهم، فكفروه ولم يشكروه بأن خالفوا أمره، وارتكبوا نهيه، وجاهروا بالمعاصي والآثام، إلا سلبهم ما أعطاهم، وكان الفقر مأواهم، وفي كتاب الله عبرة لمن اعتبر، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

١١

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٩].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].



قال ابن القيم: ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم، وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا لسبب ذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة. وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسبابَ رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَيَّر غُيِّر عليه، جزاءً وفاقًا، وما ربك بظلام للعبيد، فإن غيَّر المعصية بالطاعة، غيَّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب تبارك وتعالى أنه قال: وعزَّتي وجلالي، لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل عنه إلى ما أكره، إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره، ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره فينتقل عنه إلى ما أحب، إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب. وقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن الذنوب تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم

وإياك والظلم مهما استطعت ... فظلم العباد شديد الوخم

وسافر بقلبك بين الورى ... لتبصر آثار من قد ظلم

فتلك مساكنهم بعدهم ... شهود عليهم ولا تتهم

وما كان شيء عليهم أضر ... من الظلم وهو الذي قد قصم

فكم تركوا من جنان ومن ... قصور وأخرى عليهم أطم

صلوا بالجحيم وفات النعيم ... وكان الذي نالهم كالحلم[1]

وقال أيضًا عن عقوبات المعاصي: ومن عقوباتها: أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل، وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته؛ فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببًا وآفةً تبطله، فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته، وآفاتها المانعة منها معصيته، فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها. ومن العجب علم العبد بذلك مشاهدةً في نفسه وغيره، وسماعـًا لما غاب عنه من أخبار من أزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه، وهو مقيم على معصية الله، كأنه مستثنى من هذه

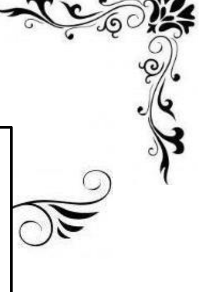
---

(١) الجواب الكافي: (١٠٣).



الجملة أو مخصوص من هذا العموم، وكأن هذا أمر جارٍ على الناس لا عليه، وواصل إلى الخلق لا إليه، فأي جهل أبلغ من هذا؟ وأي ظلم للنفس فوق هذا؟ فالحكم لله العلى الكبير[1].

(١) الجواب الكافي: (١٣٩).





اعتقاد أن سعة الرزق دليل على محبة الله للعبد وأن ضيق الرزق دليل على عدم محبة الله للعبد

١٢ وهذا اعتقاد خاطئ، بينه ربنا سبحانه وتعالى في مواضع من كتابه الكريم فمن ذلك:

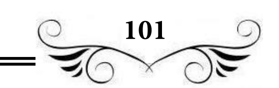
١ - **قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

(يقول تعالى منكرًا على الإنسان، في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

وكذلك في الجانب الآخر، إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين: إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيرا بأن يصبر)[1].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٥٧).

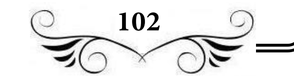


٢ - قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]

يعني: (أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا؟ كلا

ليس الأمر كما يزعمون في قولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥] لقد أخطأوا في ذلك، وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاءً، ولهذا قال: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٦] كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [التوبة: ٥٥] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥] الآية. وقال: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المدثر: ١١-١٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [سبأ: ٣٧] الآية. والآيات في هذا كثيرة.

قال قتادة في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦] قال: مُكِر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم. يا ابن آدم، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم، ولكن



اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح)[1].

٣ - وممن وقع في هذا الاعتقاد الخاطئ قارون الذي آتاه الله ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] فما كان من الشاكرين، ونصحه قومه فما كان من المنتصحين، بل: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

(أي: أنا لا أفتقر إلى ما تقولون فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه ولمحبته لي)[2] (ولهذا قال الله تعالى رادًّا عليه فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨] أي: قد كان من هو أكثر منه مالًا وما كان ذلك عن محبة منَّا له، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم)[3] (وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، فإنه قال في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]

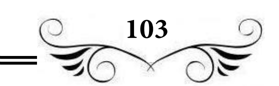
قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال وقرأ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: ٧٨] الآية. وهكذا يقول من قلَّ علمه إذا رأى من وسع الله عليه:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩).



لو لا أنه يستحق ذلك لما أُعطي)[١].

ومن الأدلة على فساد هذا الاعتقاد ما ذكره عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ... فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟**» قُلْتُ: بَلَى. رواه مسلم. وفي رواية: فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللهَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «**أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا**».

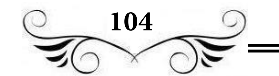
ففارس والروم لا يعبدون الله، ومع ذلك وسع الله عليهم، وأعطاهم من الدنيا ما أعطاهم؛ وما ذلك إلا لحقارة الدنيا، كما قال ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»[٢] رواه الترمذي

وما أعطى الله الكافر من رزق في الدنيا فإنما هو استدراج، وليوافي يوم

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٩).

(٢) صحيح الجامع: (٥٢٩٢).



القيامة وماله حسنات.

فعلى المؤمن أن يعلم أن الله رازق جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، برِّهم وفاجرهم، ومن الكفار من وسع الله عليه رزقه ومنهم من ضيق عليه، وكذلك في المؤمنين. وليست سعة الرزق وضيقه دليلًا على المحبة ولا عدم المحبة، والله الموفق.





طامة كبرى

قال ابن القيم في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:

١٣ (**وقال لي غير واحد**: إذا تبت إليه وأنبت وعملت صالحا، ضيق عليَّ رزقي، ونكَّد عليَّ معيشتي، وإذا رجعت إلى معصيته، وأعطيت نفسي مرادها، جاءني الرزق والعون.. ونحو هذا.

فقلت لبعضهم: هذا امتحان منه؛ ليرى صدقك وصبرك، هل أنت صادق في مجيئك إليه وإقبالك عليه فتصبر على بلائه فتكون لك العاقبة، أم أنت كاذب فترجع على عقبك؟)[1].

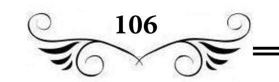
وهؤلاء الذين عاصرهم ابن القيم في زمانه ما أكثَرهم في عصرنا هذا وفي مجتمعاتنا!!!

وصدق الله العظيم إذ قال في كتابه الكريم:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

أي: (ومن الناس مَن يدخل في الإسلام على ضعف وشكٍّ، فيعبد الله على تردد، كالذي يقف على طرف جبل أو حائط لا يتماسك في وقفته، ويربط إيمانه بدنياه، فإن عاش في صحة وسَعَة استمر على عبادته، وإن

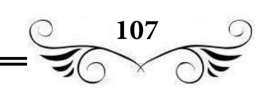
(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٨).



حصل له ابتلاء بمكروه وشدة عزا شؤم ذلك إلى دينه، فرجع عنه كمن ينقلب على وجهه بعد استقامة، فهو بذلك قد خسر الدنيا؛ إذ لا يغيِّر كفرُه ما قُدِّر له في دنياه، وخسر الآخرة بدخوله النار، وذلك خسران بيِّن واضح)[1].

---

(١) التفسير الميسر.







ظن التعارض بين طلب العلم وطلب الرزق



قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: (باب التناوب في طلب العلم)، وذكر فيه:

١٤ **عن عبد الله بن عباس عن عمر قال:** كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَنَزَلَ صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَوْمَ نَوْبَتِهِ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَفَزِعْتُ فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَإِذَا هِيَ تَبْكِي، فَقُلْتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: لاَ أَدْرِي، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقْتَ نِسَاءَكَ؟ قَالَ: «**لا**». فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ.

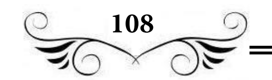
قال ابن حجر:

(وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه؛ ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته؛ لما علم من حال عمر أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك)[١].

فبإمكان الإنسان أن يتكسب مع طلب العلم، وليس شرطًا أن يكون

---

(١) فتح الباري (١/ ١٨٦).



طالب العلم بلا عمل يتكسب منه، بل هو أحرى بالعمل؛ ليكف نفسه ويصون وجهه. قال سفيان: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم، لا تزيدوا الخشوع على ما في القلب، فقد وضح الطريق، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا تكونوا عيالًا على المسلمين[1].

عقبة في طريق طلب العلم:

هذه العقبة صدت كثيرًا من طلبة العلم عن المواصلة، وهي عقبة هَمِّ الرزق، تتكاثر الوساوس فتشتت القلب وتضعف الهمة في الطلب فيحمل العصا على عاتقه، راحلًا عن ديار العلم وأهله، بعد أن قذف الشيطان في قلبه أنَّ طلب العلم مضيعة وفقر وقطع للرزق، فيا ليت شعري أرزقًا غير رزقه الذي قد تكفل الله به وكتبه له يريد؟!!!

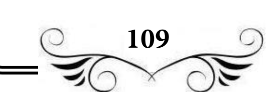
كم من طالب علمٍ صُدَّ ورُدَّ مخافة العيلة والفقر؟

وكم من طالب علمٍ صبر، ولخاطر النفس زجر، وما بالى اغتنى أو افتقر، فبرز في دين الله وظهر.

أخي طالب العلم، وحتى يذهب همُّك وتعلو همَّتك أتركك أمام الإمام الشوكاني لتجثو بين يديه، وتسند ركبتيك إلى ركبتيه، وتستمع إليه وهو يناجيك قائلًا:

(فما رأينا عالمًا ولا متعلمًا مات جوعًا، ولا أعوزه الحال حتى انكشفت عورته عريًّا، أو لم يجد مكانًا يكنه، ومنزلًا يسكنه، وليست الدنيا

(١) شعب الإيمان: (٥/ ٣٦٥).



إلا هذه الأمور، وما عداها فضلات، مشغلة للأحياء مهلكة للأموات:

أنا إن عشت لست أعدم قوتًا وإذا مت لست أعدم قبرًا

وعلى العاقل أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له، ولا يعدوه ما قدره الله له، وأنه قد فرغ من أمر رزقه الذي فرضه الله له، فلا القعود يصده، ولا السعي وإتعاب النفس يوجب الوصول إلى مالم يأذن به الله. وهذا معلوم من الشرع قد توافقت عليه صرائح الكتاب والسنة وتطابقت عليه الشرائع، وإذا كان الأمر هكذا فما أحق هذا النوع العاقل من الحيوان الذي دارت رحى التكليف عليه، ونيطت أسباب الخير والشر به، أن يشتغل بطلب ما أمره الله بطلبه، وتحصيل ما خلقه الله لتحصيله، وهو الامتثال بما أمره به من طاعته، والانتهاء عما نهاه عنه من معاصيه، ومن أعظم ما يريده الله منه، ويقربه إليه، ويفوز به عنده أن يشغل نفسه ويستغرق أوقاته في طلب معرفة هذه الشريعة التي شرعها الله لعباده، وينفق ساعاته في تحصيل هذا الأمر الذي جاءت به رسل الله إلى عباده ونزلت به ملائكته، فإن جميع ما يريده الله من عباده عاجلًا أو آجلًا، وما وعدهم به من خير وشر، قد صار في هذه الشريعة. فأكرم برجل قد تاقت نفسه أن يكون عبد بطنه إلى أن يكون عبد دينه حتى يناله على الوجه الأكمل ويعرفه على الوجه الذي أراده الله منه، ويرشد إليه من عباده من أراد له الرشاد، ويهدي به من استحق الهداية، فانظر أعزّك الله كم الفرق بين الرجلين، وتأمل قدر مسافة التفاوت بين الأمرين، هذا يستغرق جميع

أوقاته وينفق كل ساعاته في تحصيل طعامه وشرابه وملبسه وما لابد منه قام أو قعد، سعى أو وقف. وهذا يقابله بسعي غير هذا السعي وعمل غير ذاك العمل وينفق ساعاته ويستغرق أوقاته في طلب ما جاء عن الله وعن رسوله من التكاليف التي كلف بها عباده وما أذن به من إبلاغه إليهم من أمور دنياهم وأخراهم لينتفع بذلك ثم ينفع به من شاء من عباده ويبلغ إليهم حجة الله ويعرفهم شرائعه.

فلقد تعاظم الفرق بين النوعين، وتفاوت تفاوتًا يقصر التعبير عنه، ويعجز البيان له إلا على وجه الإجمال بأن يقال: إن أحد النوعين قد التحق بالدواب، والآخر بالملائكة؛ لأن كل واحد منهما قد سعى سعيًا شابه من التحق به، فإن الدابة يستعملها مالكها في مصالحه، ويقوم بطعامها وشرابها وما يحتاج إليه، ومع هذا فمن نظر في الأمر بعين البصيرة وتأمله حق التأمل، وجد عيش من شغل نفسه بالطاعة وفرغها للعلم، ولم يلتفت إلى ما تدعو إليه الحاجة من أمر دنياه.. أرفهَ، وحالَه أقومَ، وسرورَه أتمَّ. وتلك حكمة الله البالغة التي يتبين بها أنه لن يعدو للمرء ما قدر له، ولن يفوته ما كان يدركه، وكما أن هذا المعنى ثابت في الشريعة مصرح به في غير موطن منها، قد أجراه الله على لسان الجبابرة من عباده وعتاة أمته حتى قال الحجاج بن يوسف الثقفي في بعض خطبه ما معناه: أيها الناس، إن الله كفانا أمر الرزق وأمرنا بالعبادة فسعينا لما كُفيناه، وتركنا السعي الذي أُمرنا به، فليتنا أُمرنا بطلب الرزق وكُفينا العبادة حتى نكون كما أراده الله منا. هذا معنى كلامه لا لفظه، فلما بلغ كلامه هذا بعض السلف



المعاصرين له قال: إن الله لا يخرج الفاجر من هذه الدار وفي قلبه حكمة ينتفع بها العباد إلا أخرجها منه وإن هذا مما أخرجه من الحجاج.

فانظر هذا الجبار كيف لم يَخْفَ عليه هذا الأمر على ما هو فيه من التجبر وسفك الدماء وهتك الحرم والتجرؤ على الله وعلى عباده وتعدي حدوده، فما أحقَّه بأن لا يخفى على من هو ألين منه قلبًا وأقل منه ظلمًا وأخف منه تجبرًا وأقرب منه من خير وأبعد منه من شر.

وإن من تصور هذا الأمر حق التصور، وتعقله كما ينبغي انتفع به انتفاعًا عظيمًا، ونال به من الفوائد جسيمًا، والهداية بيد الهادي جل جلاله وتقدست أسماؤه)(١).

ورحم الله الإلبيري فقد بين فضل العلم وحقارة الدنيا في أبيات رائعة حق أن تُحفظ:

أبا بكر دعوتك لو أجبتا ... إلى ما فيه حظك إن عقلتا

إلى علم تكون به إماما ... مطاعا إن نهيت وإن أمرتا

ويجلو ما بعينك من غشاها ... ويهديك السبيل إذا ضللتا

وتحمل منه في ناديك تاجا ... ويكسوك الجمال إذا عريتا

ينالك نفعه ما دمت حيا ... ويبقى ذخره لك إن ذهبتا

هو العضب المهند ليس ينبو ... تصيب به مقاتل من ضربتا

(١) أدب الطلب للشوكاني: (١٨٥ – ١٨٦).

وكنــز لا تخــاف عليــه لصًــا خفيف الحمل يوجد حيث كنتا

يزيــد بكثــرة الإنفــاق منــه ويــنقص إن بــه كفًــا شــددتا

فلـو قـد ذقـت مـن حلـواه طعمًـا لآثـــرت الـــتعلم واجتهـــدتا

ولـم يشـغلك عنـه هـوىً مطـاع ولا دنيـــا بزخرفهـــا فتنتـــا

ولا ألهــاك عنــه أنيــق روض ولا خــــدر بزينتهـــا كلفتـــا

فقــوت الــروح أرواح المعــاني فـــإن أعطاكـــه الله انتفعتـــا

إلى أن قال:

ولا تحفــل بمالــك والــهُ عنــه فلــيس المــال إلا مــا علمتــا

ولــيس لجاهــل في النــاس مغــن ولــو ملــك العــراق لــه تــأتى

ســينطق عنــك علمــك في مــلاء ويكتــب عنــك يومــا إن كتمتــا

ومـــا يغنيـــك تشـــييد المبـــاني إذا بالجهــل نفســك قــد هــدمتا

جعلـت المـال فـوق العلـم جهـلا لعمــرك في القضــية مــا عــدلتا

وبينهمـــا بـــنص الـــوحي بـــون ســـــتعلمه إذا طـــــه قرأتـــــا

لــئن رفــع الغنــي لــواء مــال لأنــت لــواء علمــك قــد رفعتــا

وإن جلس الغني على الحشـايا لأنت على الكواكـب قـد جلستا

وإن ركـــب الجيـــاد مســـومات لأنـــت منـــاهج التقـــوى ركبتـــا

ومهمـــا افـــتض أبكـــار الغـــواني فكـم بكـر مـن الحكـم افتضضتا

وليس يضرك الإقتار شيئا إذا ما أنت ربك قد عرفتا
فماذا عنده لك من جميل إذا بفناء طاعته أنختا
فقابل بالقبول صحيح نصحي فإن أعرضت عنه فقد خسرتا
وإن راعيته قولًا وفعلًا وتاجرت الإله به ربحتا
فليست هذه الدنيا بشيء تسوؤك حقبة وتسر وقتا
وغايتها إذا فكرت فيها كفيئك أو كحلمك إن حلمتا
سجنت بها وأنت لها محب فكيف تحب ما فيه سجنتا
وتطعمك الطعام وعن قريب ستطعم منك ما منها طعمتا
وتعرى إن لبست لها ثيابا وتكسى إن ملابسها خلعتا
وتشهد كل يوم دفن خل كأنك لا تراد بما شهدتا
ولم تخلق لتعمرها ولكن لتعبرها فجد لما خلقتا
وإن هدمت فزدها أنت هدمًا وحصن أمر دينك ما استطعتا
ولا تحزن على ما فات منها إذا ما أنت في أخراك فزتا
فليس بنافع ما نلت فيها من الفاني إذا الباقي حرمتا

العلم ينفع ويرفع:

أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة قال: توفي أبي وأنا صغير، فأسلمتني أمي إلى قصار، فكنت أمر على حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني، فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى

القصار، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إنَّ هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي، وإنك قد أفسدته عليَّ. فقال لها: اسكتي يا رعناء، ها هو ذا يتعلم العلم، وسيأكل الفالوذج بدهن الفستق في صحون الفيروزج. فقالت له: إنك شيخ قد خرفت. قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاة، وكان يقال له قاضي قضاة الدنيا؛ لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة - قال أبو يوسف: فبينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتى بفالوذج في صحن فيروزج فقال لي: كل من هذا؛ فإنه لا يصنع لنا في كل وقت. قلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوذج. قال: فتبسمت. فقال: مالك تتبسم؟ فقلت: لا شيء، أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. فقصصت عليه القصة. فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة، ثم قال: رحم الله أبا حنيفة فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه[1].

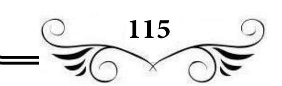
يا طالب العلم.. كن صادقًا مع الله:

قال الثوري: لما أردت أن أطلب العلم قلت: يا رب إنه لا بد لي من معيشة. ورأيت العلم يُدرس[2]، فقلت: أفرغ نفسي لطلبه. قال: وسألت ربي الكفاية والتشاغل لطلب العلم، فما رأيت إلا ما أحب إلى يومي هذا.

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٨٠).

(٢) بصيغة المجهول: أي ينمحي آثاره كما في شرح مسند أبي حنيفة للقاري عند شرح حديث "يدرس الإسلام".





ترك الزواج

١٥

السؤال عن المستقبل والوظيفة، أول ما يواجه طالب الزواج هذه الأيام، وأولياء الأمور لا يزوجون إلا بعد ضمان المستقبل -حسب زعمهم- مع أن طالب الزواج يكون مستور الحال.

والشاب يكون قادرًا على الزواج راغبًا فيه فيأبى الإقدام لأنه لم يؤمِّن مستقبله بعد!!!

أو ما يعلم أولئك أن المستقبل بيد الله، وأن الله يقلب الأيام والدول، وأنه لا يستطيع أحد -مهما كان- ضمانَ مستقبله؟

فكم من غني جمع من الأموال ما يكفيه حتى يموت ويكفي ورثته من بعده، ثم هو يفتقر ويذهب عنه كل ما جمع ويموت فقيرًا، فأين ضمان مستقبله؟!

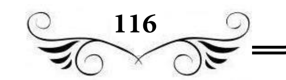
وكم من فقير قد لصق بالتراب ثم يغنيه الله من فضله.

فما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

إذًا فلا أحد يتحكم في المستقبل، بل العاقل هو من لزم التوكل على الله والإنابة إليه والافتقار بين يديه؛ فهو رب الكون يدبر أمور عباده كيف يشاء.

❁ ❁ ❁

سبحان الله! ماذا سيحصل لأولياء الأمور إذا وقعت البنت في الفاحشة وهم ينتظرون المستقبل الزاهر ويترددون في سترها بالحلال عند من



يطلبها بالحلال؟

وكيف يكون حال شاب يأبى الإقدام على الزواج خوف المستقبل والرزق ثم هو يقع في مستنقعات الرذيلة قبل أن يأتي المستقبل المنشود؟

إن عيش الفتاة والشاب تحت سقف الزواج الحلال يأكلون الخبز اليابس، ويصبرون على غصص الفقر مع الإيمان بالله، خير من الوقوع في شراك الشيطان قبل مجيء مستقبل لا يدري أحد أيأتي بخير أو بشر، بغنىً أو بفقر.

لهذا كان ابن عباس يقول لغلمانه: (من أراد منكم الباءة زوجناه، فإنه لا يزني زان إلا نزع الله منه نور الإيمان، فإن شاء أن يرده رده وإن شاء أن يمنعه منعه)(١).

ويقول الإمام أحمد: (ينبغي للعبد أن يتزوج إذا خاف على نفسه، فيستدين ويتزوج، لا يقع في محظور فيحبط عمله)(٢).



﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾:

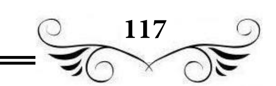
قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٢]

قال ابن كثير: هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى

---

(١) الشريعة للآجري: (١١٦).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٧٨).



وجوبه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر قوله عليه السلام: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود.

وقد جاء في السنن -من غير وجه- أن رسول الله ﷺ قال: «**تَزَوَّجوا، تَوَالَدُوا، تَنَاسَلُوا، فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وفي رواية: «**حَتَّى بِالسِّقْطِ**».

الْأَيَامَى: جَمْعُ أَيِّم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها، وللرجل الذي لا زوجة له، سواء كان قد تزوج ثم فارق، أو لم يتزوج واحدٌ منهما. حكاه الجوهري عن أهل اللغة يقال: رَجُلٌ أَيِّمٌ وَامْرَأَةٌ أَيِّمٌ.

وقوله تعالى: ﴿**إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النور: ٣٢] الآية.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى فقال: ﴿**إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النور: ٣٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الأزرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد -يعني ابن عبد العزيز- قال: بلغني أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: ﴿**إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النور: ٣٢].

وعن ابن مسعود: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿**إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ**﴾ [النور: ٣٢] رواه ابن جرير، وذكر البغوي عن عمر بنحوه.

وعن الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنهم: النَّاكِحُ يُرِيدُ الْعَفَافَ، والمكاتَب يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ**» رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد عليه إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد، ومع هذا فزوجه بتلك المرأة وجعل صداقها عليه أن يُعَلِّمَهَا ما معه من القرآن. والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله.

وأما ما يورده كثير من الناس على أنه حديث «**تزوجوا فقراء يغنكم الله**» فلا أصل له ولم أره بإسناد قوي ولا ضعيف إلى الآن، وفي القرآن غنية عنه، وكذا هذه الأحاديث التي أوردناها ولله الحمد والمنة[١].

❁ ❁ ❁

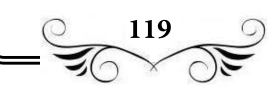
سئل الإمام أحمد عن رجل يعمل الخوص، قوته ليس يصيب منه أكثر من ذلك، هل يقدم على التزويج؟ فكان الجواب: يقدم على التزويج؛ فإن الله يأتي برزقها ويتزوج ويستقرض[٢].

وعن ابن عون قال: كان محمد -يعني ابن سيرين- يقول لأيوب: «أَلَا تَزَوَّجُ؟ أَلَا تَزَوَّجُ؟» فشكى ذلك إليَّ فقال: إذا تزوجت فمن أين أنفق؟ قال: فقلت ذاك لابن محمدٍ عبدِ الله، فقال لأبيه، فقال: يرزقه الذي يرزق

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٢).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ٨٧١).



الطير من السماء، و أشار بإصبعه، قال: فتزوجَ، قال: فقد رأيت بعد ذلك في سفرته الدجاج[1] يعني أنه أغناه الله من فضله بعد زواجه حتى صار يأكل أطايب الطعام.

قال المناوي:

إن إدرار الرزق يكون بقدر العيال، والمعونة تنزل بحسب المؤونة، فمن تزوج قاصدًا بتزوجه المقاصد الأخروية لتكثير الأمة لا قضاء الوطر ونيل الشهوة رزقه الله من حيث لا يحتسب[2].

وقال ابن الجوزي:

(**ومنهم من قال**: النكاح يوجب النفقة، والكسب صعب. وهذه حجة للترفه عن تعب الكسب.

وفي (صحيح مسلم) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**»)[3].

تنبيه:

لا يعني ما تقدم من تزويج الفقراء، أن نزوج بناتنا الكسالى عن العمل والتكسب والدخول في الأسواق، بل ننظر في حال طالب الزواج، واستعداده للقيام بواجب الزوج نحو أسرته من النفقة عليهم، وسد

---

(١) شعب الإيمان (٢/ ١١٦).

(٢) فيض القدير (٣/ ٢٤١).

(٣) تلبيس إبليس (٣٥٩).

حاجاتهم ولو بحمل الحطب على ظهره، فمثل هذا وإن كان فقيرًا فإننا نرضاه لبناتنا ونأمن عليهن عنده، وقد زوج النبي ﷺ فقيرًا لا يملك خاتم حديد - حين طلب منه أن يزوجه تلك المرأة - بما معه من القرآن.

قال أبو بكر المروذي: قلت لأبي عبد الله (أحمد بن حنبل): هؤلاء المتوكلة الذين لا يتجرون ولا يعملون، يحتجون بأن النبي ﷺ زوج على سورة من القرآن، فهل كان معه شيء من الدنيا؟ قال: وما علمهم أنه كان لا يعمل؟





سؤال السحرة والمنجمين والكهنة عن الرزق في المستقبل



وهذا شرك عظيم، وخطر جسيم، ظهر في أمة الإسلام؛ فلا أحد يعلم الغيب إلا الله.

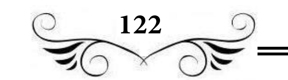
قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولا أحد يعلم المستقبل وأمر غد إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقد نهى الإسلام عن الذهاب إلى هؤلاء، وحذر منه، فقد روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»

وروى أبو داود والترمذي واللفظ للترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**»



ومع هذا، فالجهل بين المسلمين منتشر، والدين غريب، والذاهبون إلى هؤلاء كثر.

قال الشيخ حافظ الحكمي وهو يتكلم عن التنجيم والمنجمين: وقد يتحكم في الغيب، فيدعي أنَّ هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذَّكرُ وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيًا وهذا يكون فقيرًا، وهذا يكون شريفًا وهذا وضيعًا، وهذا محببًا وهذا مبغضًا، كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه! لا والله لا يدريه المَلَك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه: أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ ما الرزق؟ وما الأجل؟ فيقول له فيكتب. وهذا الكاذب المفتري يدَّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدعي أنه يدركه بصناعة اخترقها وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية ومن صدقه واعتقده فيه.. كفرَ والعياذ بالله[1].

ويدخل في مجيء الكاهن والمنجم ما انتشر (في هذا العصر بوضوح -مع غفلة الناس عنه- ما يكثر في المجلات مما يسمونه البروج، فيخصصون صفحة أو أقل منها في الجرائد، ويجعلون عليها رسم بروج السنة برج الأسد، والعقرب، والثور، إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه، فإذا كان الرجل أو المرأة مولودًا في ذلك البرج يقول: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا، وهذا هو التنجيم الذي هو التأثير.

والاستدلال بالنجوم والبروج على التأثير في الأرض وعلى ما

(١) معارج القبول (٢/ ٥٦٠).



سيحصل في الأرض، هو نوع من الكهانة، ووجوده في المجلات والجرائد وجود للكهان فيها، فهذا يجب إنكاره؛ إنكارًا للشركيات، ولادعاء معرفة الغيب، وللسحر، وللتنجيم؛ لأن التنجيم من السحر كما ذكرنا، ويجب إنكاره على كل صعيد، ويجب أيضًا على كل مسلم أن لا يدخله بيته، وأن لا يقرأه ولا يطلع عليه؛ لأن الاطلاع على تلك البروج وما فيها - ولو لمجرد المعرفة - يدخل في النهي من جهة أنه أتى الكاهن غير منكر عليه.

وإذا قرأ هذه الصفحة وهو يعلم برجه الذي ولد فيه، أو يعلم البرج الذي يناسبه، وقرأ ما فيه، فكأنه سأل كاهنًا، فلا تقبل له صلاة أربعين يومًا، فإن صدَّق بما في تلك البروج فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ[1].

(١) شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٧٣، ٢٧٤).



ثالثًا: أسباب



وبعد ذلك...

وبعد أن يؤمن العبد بربه الخالق الرزاق، وأنه قد تكفل برزقه وكفايته، فإن عليه أن يسعى في طلبه وتحصيله متحريًا الحلالَ متجنبًا الحرامَ كما قال ﷺ: «**لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ ليموت حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ فَاتَّقُوا اللهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، أَخْذُ الْحَلَالِ وَتَرْكُ الْحَرَامِ**»[(١)].

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي هذا ما دل على أنه أمر بطلب الرزق إلا أنه أمر بإجماله. وإجمال الطلب: هو أن يطلبه من الحلال معتمدًا على الله ﷻ ولا يلاحظ في طلبه قواه ومكايده وحيله، ولا يطلبه من الحرام[(٢)].

وقال أيضًا: وحين أمر بالإجمال في الطلب، علمنا أنه لم يمنع من الكسب أصلًا، ولكن كره له شدة الحرص، وكثرة الهم فعل من يرى أن رزق الله إنما يحصل بجده وجهده دون تقدير خالقه ورازقه[(٣)].

وفي الكتاب والسنة جاء ذكر طرق وأسباب كثيرة للرزق ليسلكها العباد وينالوا فضل الله والرزق الحلال الطيب المبارك.

وهذه الأسباب منها المادية ومنها المعنوية.

يقول شيخ الإسلام: والسعي سعيان:

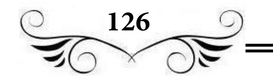
سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة.

---

(١) صحيح الجامع: (٧٣٢٣).

(٢) شعب الإيمان: (٢/ ٦٧).

(٣) شعب الإيمان: (٢/ ٧٢).



وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك، فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[١].

---

(١) الفتاوى (٨/ ٥٤٠).





الكسب

الْكَسْبُ: هو الطَّلَب والسَّعْيُ في طَلَب الرزِق والمَعِيشة(1).

١ **والنصوص الدالة على مشروعيته كثيرة، منها قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال القرطبي: (هذه الآية أصل في تناول الأسباب، وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك)(2)، (بل ربما كان التكسب واجبًا، كقادر على الكسب يحتاج عياله للنفقة، فمتى ترك ذلك كان عاصيًا)(3).

ومن الأبواب التي فتحها الله تعالى للكسب:

١ - غنائم القتال:

قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ﴾ [الأنفال: ٦٩].

عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»(4).

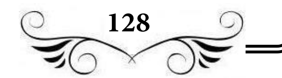
---

(١) النهاية في غريب الأثر (٤/ ٣٠٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ١٥).

(٣) فتح الباري (١١/ ٤١٠) وأما من يذم السعي ويقول إنه ينافي التوكل على الله، فهو قول مردود وانظر الكلام عن التواكل في هذا الكتاب، ويأتي أيضًا ما يرد باطلهم في سياق مبحثنا هنا.

(٤) رواه البخاري معلقًا وأحمد موصولًا وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٨٣١).



(وفي الحديث إشارة إلى فضل الرمح، وإلى حل الغنائم لهذه الأمة، وإلى أن رزق النبي ﷺ جعل فيها لا في غيرها من المكاسب؛ ولهذا قال بعض العلماء: إنها أفضل المكاسب)(1).

قال سهل: من قال إن التوكل يكون بترك السبب، فقد طعن في سنة رسول الله ﷺ لأن الله ﷻ يقول: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، فالغنيمة اكتساب(2).

٢ - التجارة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] وفي هذه الآية (ما يرد قول من ينكر طلب الأقوات بالتجارات والصناعات من المتصوفة الجهلة؛ لأن الله تعالى حرم أكلها بالباطل وأحلها بالتجارة، وهذا بَيِّنٌ)(3).

وعن قتادة في هذه الآية قال: التجارة رزق من رزق الله، وحلال من حلال الله، لمن طلبها بصدقها وبرها، وقد كنا نحدث: أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة(4).

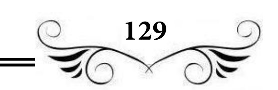
---

(١) فتح الباري (٦/ ٩٨).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٨٢).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ١٤٢).

(٤) تفسير الطبري (٤/ ٣٣).



(والتجارة هي البيع والشراء)[1] ولو باع الرجل واشترى ولو برأس ماله لبارك الله له كما ذكر عن بعض السلف، وذلك خير من البطالة.

ومن المكاسب الطيبة:

٣ - الزراعة:

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١]

في هذه الآية دليل على أن اتخاذ الزرع من أعلى الحِرَف التي يتخذها الناس، والمكاسبِ التي يشتغل بها العمال، ولذلك ضرب الله به المثل فقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[2].

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ» يعني:** الزرع، أخرجه الترمذي[3].

وقال ﷺ في النخل: «هي الرَّاسِخَاتُ فِي الْوَحْلِ، الْمُطْعِمَاتُ فِي

(١) تفسير القرطبي (٥/ ١٤٣).

(٢) مسلم: (١٥٥٣).

(٣) الحديث ضعيف ولم أجده في السنن للترمذي وانظر ضعيف الجامع: (١١٥٠). قال البيهقي في الشعب: وهذا إن صح فإنما أراد به الحرث وإثارة الأرض للزرع.

الْمَحْلِ»[1] وهذا خرج مخرج المدح.

والزراعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها وما كان في معناها من غرس الأشجار.

ولقي عبدُ الله بن عبد الملك ابنَ شهاب الزهري فقال: دلني على مال أعالجه، فأنشأ ابن شهاب يقول:

أقـــول لعبـــد الله يـــوم لقيتـــه ... وقد شد أحلاس المطي مشرقا

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها ... لعلـك يومـا أن تجـاب فترزقـا

فيؤتيـك مـالًا واسـعًا ذا مثابـة ... إذا ما مياه الأرض غارت تدفقا[2]

وحُكي عن المعتضد أنه قال: رأيت علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المنام يناولني مسحاة وقال: خذها فإنها مفاتيح خزائن الأرض)[3].

قال النووي: قوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ**» وفي رواية: «**لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً**» وفي رواية: «**إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» في هذه الأحاديث فضيلة الغرس، وفضيلة الزرع، وأن أجر فاعلي ذلك

---

(١) قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط وفيه المعلى بن ميمون وهو متروك.

(٢) تاريخ دمشق (٢٩/ ٣٥٠).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٨٧).



مستمر مادام الغراس والزرع، وما تولد منه إلى يوم القيامة)[1].

٤ - العمل باليد:

قال الإمام البخاري في صحيحه: باب كسب الرجل، وعمله بيده، وذكر فيه ستة أحاديث:

أولها في التجارة والثاني في الزراعة وأما الأربعة الباقية ففي العمل باليد ومشروعيته وفضله، وها هي الأربعة الأحاديث المباركة:

عن المقدام ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ ﵇، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ ﵇، كَانَ لاَ يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»

وعنه ﵁ أيضًا قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ»

وعن الزبير بن العوام ﵁ قال: قال النبي ﷺ: **«لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ»**

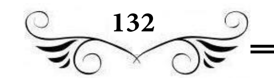
وعند أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ»[2].

وعن رافع بن خديج قال: قيل: يا رسول الله، أي الكسب أطيب؟ قال:

---

(١) شرح مسلم (١٠/ ٢١٣).

(٢) صحيح الجامع: (٣٢٨٣).



«**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**»[1] رواه أحمد

(ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو، وكسر النفس بذلك، والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير)[2].

أفضل المكاسب:

وبعد أن علمنا أصول المكاسب، فما هو أفضلها وأطيبها وأحلها؟!

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

قيل: هذا فيه ثلاثة أقوال للفقهاء:

أحدها: أنه كسب التجارة.

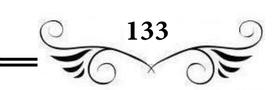
والثاني: أنه عمل اليد في غير الصنائع الدنيئة كالحجامة ونحوها.

والثالث: أنه الزراعة.

ولكل قول من هذه وجه من الترجيح أثرًا ونظرًا، والراجح أن أحلها الكسب الذي جعل منه رزق رسول الله ﷺ وهو كسب الغانمين وما أبيح لهم على لسان الشارع، وهذا الكسب قد جاء في القرآن مدحه أكثر من غيره وأُثني على أهله ما لم يُثن على غيرهم ؛ولهذا اختاره الله لخير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله حيث يقول: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ حتى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أمري**» وهو الرزق المأخوذ بعزة وشرف وقهر

(١) صحيح الجامع: (١٠٣٣).

(٢) فتح الباري (٤/ ٣٠٤).



لأعداء الله، وجعل أحب شيء إلى الله فلا يقاومه كسبٌ غيره، والله أعلم[١].

وذكر هذه المسألة ابن حجر في الفتح، فننقل ما قاله تتميمًا للفائدة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد اختلف العلماء في أفضل المكاسب، قال الماوردي: أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصنعة، والأشبه بمذهب الشافعي أن أطيبها التجارة. قال: والأرجح عندي أن أطيبها الزراعة لأنها أقرب إلى التوكل.

وتعقبه النووي بحديث المقدام الذي في هذا الباب، وأن الصواب أن أطيب الكسب ما كان بعمل اليد. قال: فإن كان زَرَّاعًا فهو أطيب المكاسب؛ لما يشتمل عليه من كونه عمل اليد ولما فيه من التوكل ولما فيه من النفع العام للآدمي وللدواب ولأنه لا بد فيه في العادة أن يُؤْكَلَ منه بغير عوض.

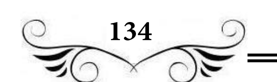
- **قلت**: وفوق ذلك من عمل اليد ما يكتسب من أموال الكفار بالجهاد، وهو مكسب النبي ﷺ وأصحابه، وهو أشرف المكاسب؛ لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى، وخذلان كلمة اعدائه والنفع الأخروي -

قال: ومن لم يعمل بيده فالزراعة في حقه أفضل لما ذكرنا.

قلت: وهو مبني على ما بُحث فيه من النفع المتعدي، ولم ينحصر النفع المتعدي في الزراعة، بل كل ما يعمل باليد فنفعه متعد؛ لما فيه من تهيئة أسباب ما يحتاج الناس إليه. والحق أن ذلك مختلف المراتب وقد

---

(١) زاد المعاد (٥ / ٧٠٠).



يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والعلم عند الله تعالى.

قال ابن المنذر: إنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل كما جاء مصرحا به في حديث أبي هريرة.

قلت: ومن شرطه أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب، بل من الله تعالى بهذه الواسطة[1]هـ

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأما تعيين مكسب على مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة أو غير ذلك، فهذا يختلف باختلاف الناس، ولا أعلم في ذلك شيئًا عامًا، لكن إذا عنَّ للإنسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير؛ فإن فيها من البركة ما لا يحاط به، ثم ما تيسر له فلا يتكلف غيره إلا أن يكون منه كراهة شرعية[2].

البكور في السعي:

ومن أسباب البركة في الرزق البكور في طلبه، فعن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم بارك لأمتي في بكورها وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار**»

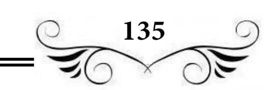
وكان صخر تاجرًا فكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله[3].

---

(١) (٤/ ٣٠٤).

(٢) الفتاوى (١٠/ ٦٦٣).

(٣) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن (صحيح الترغيب).



مكانة الكسب وعظيم فائدته وأنه لا ينافي التوكل:

(وفي الكسب فائدة كثيرة، فإنه مما ينفع الناس، ويصلح شؤونهم، ويقوم بمنافعهم في لباسهم وأقواتهم، فلو ترك الناس الكسب بالجملة، لهلكت الأرض ومن عليها، فقد تصورت فيه المنفعة العظمى، وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: « **سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ** »[(١)]، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**النَّاسُ عِيَالُ الله وَأَحَبُّهم إلى الله أَنْفَعُهم لِعياله**»[(٢)].

والمنفعة على ضربين دنيوية وأخروية:

فالأخروية: إرشاد المكلف وتعليمه ما يلزمه من وظائف التكليف.

والدنيوية: معالجة المعيشة بالأسباب العادية التي يقوم بها أود الحاجات وإبقاء رمق حياة.

فقد انحصرت المنفعة الدنيوية في الكسب، وفيه أيضًا سبب للمنفعة الأخروية، فإنه لولا سدُّ الجوعة وستر العورة على مقتضى الشرع ومجرى العادة، لم تكن الحياة ولا تصورت عبادة، **فأهلًا بالكسب وأهله**، فإنهم أحب الناس إلى الله تعالى، وكيف يعاب الكسب أو يغض من قدره وقد أثبته سيد الرسل لنفسه حيث قال: «**جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي**» يعني: ما يأكل من الغنائم بسبب الكسب بالرمح، وما فوق مقام رسول الله مقام.)[(٣)].

---

(١) ضعيف الجامع: (٣٣٢٣).

(٢) انظر حديث رقم: (٢٩٤٦) في ضعيف الجامع.

(٣) تنزيه الأنبياء (١٣٥، ١٣٤) لأبي الحسن السبتي الأموي.

فهو في سبيل الله:

وفي الكسب صيانة للنفس من الحاجة للناس، وإعفاف للرجل ومن يعولهم، والمكتسب بهذه النية هو في سبيل الله؛ فقد روى الطبراني عن كعب بن عجرة قال: مرَّ على النبي ﷺ رجلٌ، فرأى أصحابُ النبي ﷺ من جَلَدِهِ ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ**»(١).

لنَقْلُ الصَّخْرِ من قُلَلِ الجبالِ ... أَحَبُّ إِلَيَّ من مِنَنِ الرجالِ

يقولُ الناسُ لي في الكَسْبِ عارٌ ... فقلْتُ العارُ في ذُلِّ السؤالِ

بلوتُ الناسَ قرنًا بعد قرنٍ ... ولم أرَ مثلَ مختالٍ بمالِ

وذقْتُ مرارةَ الأشياءِ طُرًّا ... فما طعمٌ أَمَرُّ من السؤالِ

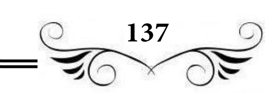
ولم أرَ في الخُطوبِ أَشَدَّ هولًا ... وأصعبَ من مقالاتِ الرجالِ

الكسب عند الأنبياء والصالحين:

عامَّة الأنبياء كانوا يفعلون أسبابًا يحصل بها الرزق، كما قال نبينا ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد في المسند عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي**

---

(١) صحيح الجامع: (١٤٢٨).



وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»

وكان داود يأكل من كسبه وكان يصنع الدروع، وكان زكريا نجارًا، وكان الخليل له ماشية كثيرة حتى إنه كان يقدم للضيف الذين لا يعرفهم عجلًا سمينًا، وهذا إنما يكون مع اليسار.

وخيار الأولياء المتوكلين: المهاجرون والأنصار وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الأولياء المتوكلين بعد الأنبياء. وكان عامتهم يرزقهم الله بأسباب يفعلونها، كان الصديق تاجرًا وكان يأخذ ما يحصل له من المغنم، ولما ولي الخلافة جُعل له من بيت المال كل يوم درهمان، وقد أخرج ماله كله وقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟**» **قال: تركت لهم الله ورسوله**. ومع هذا فما كان يأخذ من أحد شيئًا، لا صدقة ولا فتوحًا ولا نذرًا، بل إنما كان يعيش من كسبه)[1].

عن محمد بن عاصم قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا رأى غلامًا فأعجبه، سأل عنه: هل له حرفة؟ فإن قيل: لا، قال: سقط من عيني[2].

قال أبو القاسم بن الختلي: سألت أحمد بن حنبل وقلت: ما تقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمعت قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جَعَلَ اللهُ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي**» وحديث الآخر في ذكر الطير « **تَغْدُو خِمَاصًا**» فذكر أنها تغـــدو في طلب الرزق قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى

---

(١) فتاوى ابن تيمية (٨/ ٥٣٨).

(٢) تلبيس إبليس (٣٤٠).

﴿ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] وقال: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٨] وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم، ولنا القدوة بهم(١).

قال الخلال: وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال: سألت أبي عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب، فقال: ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله، ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب، هذا قول إنسان أحمق(٢).

قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروزي قال: سمعت رجلًا يقول لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: إني في كفاية، قال: الزم السوق تصل الرحم، وتعود به على عيالك. وقال لرجل آخر: اعمل وتصدق بالفضل على قرابتك. وقال أحمد بن حنبل: قد أمرتهم - يعني أولاده - أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة.

قال الخلال: وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق، يقول: ما أحسنَ الاستغناء عن الناس(٣).

وكان سلمان رضي الله عنه إذا خرج عطاؤه تصدق به، وينسج الخوص ويأكل من كسب يده(٤).

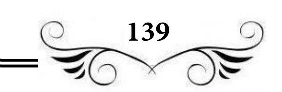
---

(١) تلبيس إبليس (٣٤٠).

(٢) تلبيس إبليس (٣٤٠).

(٣) تلبيس إبليس (٣٤٠).

(٤) الإصابة (٣/ ١٤١).



عن النعمان بن حميد قال: دخلت مع خالي على سلمان الفارسي بالمدائن وهو يعمل الخوص، فسمعته يقول: أشتري خوصًا بدرهم فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم فأعيد درهمًا فيه وأنفق درهما على عيالي وأتصدق بدرهم ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عنه ما انتهيت[1] هذا وهو أمير المدائن.

يزيد بن زريع أبو معاوية شيخ الإمام أحمد بن حنبل في الحديث، كان ثقةً عالمًا عابدًا ورعًا، توفي أبوه وكان والي البصرة، وترك من المال خمسمائة درهم، فلم يأخذ منها يزيد درهمًا واحدًا، وكان يعمل الخوص بيده ويقتات منه هو وعياله[2].

عتبة الغلام الزاهد الخاشع، كان يشبه في حزنه بالحسن البصري، كان رأس ماله فلسًا يشتري به خوصًا يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس ويتعشى بفلس وفلس رأس ماله. وقال: لا يعجبني رجل لا يحترف[3].

قال الذهبي في ترجمة **أبي نعيم الفضل بن دكين** - وهو من كبار شيوخ البخاري -:

كان شريكًا لعبد السلام بن حرب الملائي، كانا في حانوت بالكوفة يبيعان الملاء وغير ذلك.

وكان كذلك غالب علماء السلف إنما ينفقون من كسبهم[4].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٥٤١).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ١٨٢).

(٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء.

(٤) نزهة الفضلاء.



حمزة بن حبيب بن عمارة الإمام القدوة شيخ القراءة:

كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ثم يجلب فيها الجبن والجوز، وكان إمامًا قيما لكتاب الله قانتًا لله ثخين الورع رفيع الذكر عالمًا بالحديث والفرائض(١).

هشام الدستوائي الحافظ الحجة الإمام الصادق: كان يتجر في القماش الذي يجلب من دستوا(٢).

حماد بن سلمة بن دينار الإمام القدوة شيخ الإسلام:

قال سوار بن عبدالله: حدثني أبي قال: كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه فإذا ربح في ثوبٍ حبةً أو حبتين شد جونته ولم يبع شيئًا، فكنت أظن ذلك يقوته(٣).

قال صالح بن الإمام أحمد: قال لي أبي: كانت والدتك في الظلام تغزل غزلًا دقيقًا فتبيع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا. وكان ربما أخذ القدوم فخرج إلى دار السكان يعمل الشيء بيده واعتل فتعالج(٤).

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: مالك لا تقارع الأبطال؟ قال: وما مقارعة الأبطال؟ قال: الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال(٥).

---

(١) نزهة الفضلاء.

(٢) نزهة الفضلاء.

(٣) نزهة الفضلاء.

(٤) نزهة الفضلاء.

(٥) شعب الأيمان (٢/ ٨٦).





التوكل على الله

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي: كافيه

٢ **وقال ﷺ:** «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**» رواه الترمذي وابن ماجه(١).

وهذا الحديث فيه -كما يقول ابن القيم-:

إخبار بأنه سبحانه يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون، وأنه لا يخليهم من رزق قط، كما ترون ذلك في الطير، فإنها تغدو من أوكارها خماصًا، فيرزقها سبحانه حتى ترجع بطانًا من رزقه، وأنتم أكرم على الله من الطير وسائر الحيوانات، فلو توكلتم عليه لرزقكم من حيث لا تحتسبون، ولم يمنع أحدًا منكم رزقه(٢).

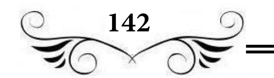
قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وأما أرجح المكاسب فالتوكل على الله، والثقة بكفايته، وحسن الظن به(٣).

وقال ابن حبان:

وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يدُه.. إلا لم يكله الله إلى

(١) وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني.
(٢) جلاء الأفهام (٢٨٧).
(٣) الفتاوى: (١٠/ ٦٦٢).



عباده، وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب[١].

حقيقة التوكل:

و(**التوكل في اللغة**: إظهار العجز والاعتماد على الغير)[٢].

(وهو الثقة بالله، والإيقان بأن قضاءه ماض، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب، من مطعم ومشرب وتحرز من عدو وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة.)[٣].

و(تعلق القلب بالأسباب في الرزق جائز، وليس ذلك بمناف للتوكل، وإن كان الرزق مقدرًا، وأمر الله وقسمه مفعولًا، ولكنه علقه بالأسباب حكمةً؛ ليعلم القلوب التي تتعلق بالأسباب من القلوب التي تتوكل على رب الأرباب، وقد تقدم أن السبب لا ينافي التوكل، قال ﷺ: « **لَوْ تَوَكَّلتُم عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا** » فأخبر أن التوكل الحقيقي لا يضاده الغدو والرواح في طلب الرزق)[٤].

صور من حسن التوكل على الله:

الصورة الأولى:

روى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي فروة الزاهد قال: قال لي رجل في المنام:

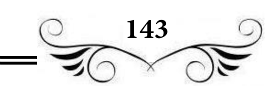
أما علمت أن المتوكلين هم المستريحون؟ قلت: رحمك الله، مماذا؟

(١) روضة العقلاء (١٥٣).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٨٢).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٨٢) وقال: هذا قول عامة الفقهاء.

(٤) تفسير القرطبي (٨/ ٩٥).



قال: من هموم الدنيا وعسر الحساب غدًا. قال أبو فروة: فو الله ما اكترثت بعد ذلك بإبطاء رزق ولا سرعته؛ وذلك أن من أجمع التوكل عليه كفاه ما همَّه، وساق الرزق والخير إليه، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق: ٣] (١).

الصورة الثانية:

اجتمع حذيفة المرعشي وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط فتذاكروا الفقر والغنى، وسليمان ساكت، فقال بعضهم: الغني من كان له بيت يكنه، وثوب يستره، وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا.

وقال بعضهم: الغني من لم يحتج إلى الناس.

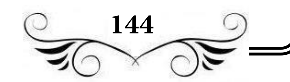
فقيل لسليمان ما تقول أنت يا أبا أيوب؟ فبكى ثم قال: رأيت جوامع الغنى في التوكل، ورأيت جوامع الشر في القنوط، وَالغَنِيُّ حَقَّ الغِنَى من أسكن قلبه إلى الله من غناه يقينًا، ومن معرفته توكلًا، ومن عطائه وقسمته رضًا، فكذلك الغَنِيُّ حَقَّ الغِنَى، وإن أمسى طاويًا وأصبح معوزًا، فبكى القوم جميعًا من كلامه(٢).



---

(١) شعب الإيمان (٢/ ١٠٤).

(٢) شعب الإيمان (٢/ ١٠٤).





الإيمان والتقوى

٣

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

قال القرطبي:

(ونظير هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]

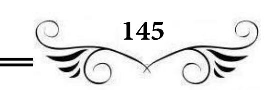
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فجعل تعالى التقى من أسباب الرزق كما في هذه الآيات، ووعد بالمزيد لمن شكر فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ﴾ [إبراهيم: ٧] (١).

(وأما قوله ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فقد بين فيها أن المتقي يدفع الله عنه المضرة بما يجعله له من المخرج، ويجلب له من المنفعة بما ييسره له من الرزق. والرزق: اسم

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢٢٧).



لكل ما يغتذى به الإنسان وذلك يعم رزق الدنيا ورزق الآخرة.

وقد قال بعضهم: ما افتقر تقي قط. قالوا: ولم؟ قال: لأن الله يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1].

(والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه)[2].

قال البيهقي:

أنشدنا أبو عبد الرحمن أنشدنا أحمد بن محمد بن يزيد لنفسه:

سل الله من فضله واتقه ... فإن التُّقى خير ما يكتسب

ومن يتق الله يصنع له ... ويرزقه من حيث لا يحتسب[3]

وقال ابن الجوزي في اللطائف:

يا مستفتحاً أبواب المعاش بغير مفتاح التقوى، كيف توسع طريق الخطايا وتشكو ضيق الرزق؟ لو اتقيت ما عسر عليك مطلوب، مفتاح التقوى يقع على كل باب، ما دام المتقي على صفاء التُّقى، لا يلقى إذن أذى، فإذا انحرف عن التُّقى الْتَقَى بالكدر.

بين عمر بن عبد العزيز وأولاده:

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال، وتركتهم عالةً، ولا بد من شيء يصلحهم، فلو أوصيت بهم إليَّ أو

---

(١) الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٥٢).

(٢) الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٤١٦).

(٣) شعب الإيمان (٢/ ١١٢).

إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤونتهم إن شاء الله، فقال عمر: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: الحمد لله، أبالله تخوفني يا مسلمة؟ أما ما ذكرت من أني فطمت أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة؛ فإني لم أمنعهم حقا هو لهم ولم أعطهم حقا هو لغيرهم، وأما ما سألت من الوصاة إليك أو إلى نظرائك من أهل بيتي، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وإنما بنو عمر أحد رجلين: رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرًا ورزقه من حيث لا يحتسب، ورجل غيَّر وفجَر فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه.

ادعوا لي بَنِيَّ، فدعَوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلامًا فجعل يصعد بصره فيهم ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدمع! ثم قال: بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم، يا بَنيَّ، إني قد تركتكم من الله بخير، إنكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد إلا ولكم عليه حق واجب إن شاء الله، يا بَنِيَّ، ميلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا، وبين أن يدخل أبوكم النار، فكان أن تفتقروا إلى آخر الأبد خيرًا من دخول أبيكم يومًا واحدًا في النار، قوموا يا بَنِيَّ، عصمكم الله ورزقكم.

قالوا: فما احتاج أحد من أولاد عمر ولا افتقر(١).

يا جامع المال لأولادهِ ... يخشى عليهم شمت حساده

ولا يبالي كيف كان الغنى ... يغتر بالله وإبعاده

اسمع مقالًا سوف تحظى به ... إن أنت لم تعمل بأضداده

---

(١) جمهرة خطب العرب (٢/ ٢١٣).



بنـــــوك إن لاذوا بمـــــولاهم　　وتابعـــوا منهـــاج إرشـــاده
فـــالله يكفيهـــم ويحميهـــم　　والله لا خـــلف لميعـــاده
وإن يحيـدوا عـن سبيـل الهـدى　　وقـــابلوا الـــدين بإفســـاده
فقـد يكـن مالـك عونًـا لهـم　　في طاعـة الهـوى وأجنـــاده(١)

تساؤل وجوابه:

التساؤل هو: أن التقوى سبب للرزق، ولكن قد نرى من يتقي وهو محروم، ومن هو بخلاف ذلك وهو مرزوق، فما الجواب؟

والجواب: ما قاله ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سئل هذا السؤال فقال:

وقول القائل قد نرى من يتقي وهو محروم، ومن هو بخلاف ذلك وهو مرزوق.

فجوابه أن الآية اقتضت أن المتقي يُرزق من حيث لا يحتسب، ولم تدل على أن غير المتقي لا يُرزق، بل لابد لكل مخلوق من الرزق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام هو داخل في هذا الرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة، ويرزقون رزقا حسنًا، وقد لا يرزقون إلا بتكلف، وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة، ولا يكون خبيثًا، والتقي لا يُحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يُحمى من فضول الدنيا رحمةً به وإحسانًا إليه(٢) فإن توسيع

---

(١) الأبيات نقلًا من كتاب روح الصيام. د. عبد العزيز مصطفى كامل.

(٢) كما جاء في الحديث: «**إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه**» وهو في صحيح الجامع (١٨١٤).

الرزق قد يكون مضرةً على صاحبه، وتقديره يكون رحمةً لصاحبه.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧] أي: ليس الأمر كذلك، فليس كل من وُسع عليه رزقه يكون مكرمًا، ولا كل من قُدر عليه رزقه يكون مهانًا، بل قد يوسع عليه رزقه إملاءً واستدراجًا، وقد يقدر عليه رزقه حمايةً وصيانةً له.

وضيق الرزق على عبد من أهل الدين؛ قد يكون لِمَا لَهُ من ذنوب وخطايا كما قال بعض السلف: إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»(١)

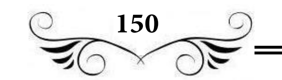
وقد أخبر الله تعالى أن الحسنات يذهبن السيئات، والاستغفار سبب للرزق والنعمة، وأن المعاصي سبب للمصائب والشدة، فقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١] إلى قوله ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣] وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] إلى قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٢] وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ﴾ [الجن: ١٦، ١٧] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ﴾ [المائدة: ٦٦] وقال تعالى: ﴿وَمَآ

(١) الحديث رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وضعفه الألباني، انظر ضعيف أبي داود ٢/ ٩٨.

أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩﴾ [هود: ٩] وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] وقال تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٣]

وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه يبتلي عباده بالحسنات والسيئات، فالحسنات هي النعم، والسيئات هي المصائب؛ ليكون العبد صبارًا شكورًا. وفى الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَقْضِي اللهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

(١) الفتاوى (١٦ / ٥٤).



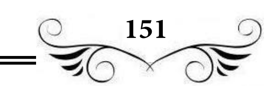


تحكيم شرع الله

٤ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٦].

وقال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١] أي: بَانَ النقصُ في الزروع والثمار بسبب المعاصي.

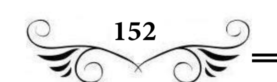
وقال أبو العالية: من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة. ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود «**لَحَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**» والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات، وإذا تُركت المعاصي كان سببًا في حصول البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية -وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف- فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج قيل للأرض: أخرجي بركتك، فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها، ويكفي لبن اللقحة الجماعة من الناس، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة



محمد ﷺ فكلما أُقيم العدل كثرت البركات والخير؛ ولهذا ثبت في الصحيح: «**إِنَّ الْفَاجِرَ إِذَا مَاتَ تَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**»

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا محمد والحسين قالا: حدثنا عوف عن أبي قحذم قال: وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حَبٌّ -يعني من بر- أمثال النوى، عليه مكتوب: هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل(١).

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٧٦).





التوبة والاستغفار

٥

في القرآن الكريم ثلاث آيات تُرَغِّبُ في الاستغفار والتوبة إلى الله، وأن ذلك من أسباب الرزق والمتاع الحسن، وذلك أن الذنوب سبب لغضب الرب، وللعيشة الضنك في الدنيا والآخرة، وللمصائب كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

والتوبة والاستغفار سبب لمحو الذنوب، وما يترتب عليها من آثار (**ولهذا قال تعالى:** ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]

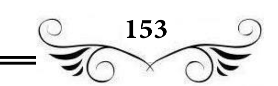
فأخبر أنه لا يعذب مستغفرًا، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال:

« **مَنْ أَكْثَرَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**(١) »)(٢).

---

(١) الحديث رواه النسائي وابن ماجه والحاكم وضعفه الألباني، انظر ضعيف أبي داود ٢/ ٩٨.

(٢) فتاوى ابن تيمية (٨/ ١٦٣).



الآيات الثلاث:

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

قال القرطبي: هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي: يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق، ورغد العيش، ولا يستأصلكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم(١).

٢ - قوله تعالى عن هود أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

قال ابن كثير: أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ شأنه، ولهذا قال: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢] وفي الحديث: « **مَنْ لزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** »(٢).

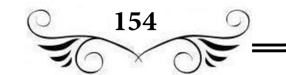
٣ - قوله تعالى عن نوح أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

قال القرطبي: في هذه الآية والتي في هود دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٠).



طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾ [نوح: ١٠، ١١]

وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ﴾ [التوبة: ٩١].

وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقوا.

وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئا.

وقد مضى في سورة آل عمران كيفية الاستغفار وأن ذلك يكون عن إخلاص وإقلاع من الذنوب وهو الأصل في الإجابة(١).

وروى البيهقي في شعب الإيمان عن سفيان الثوري قال: دخلت على جعفر بن محمد وهو في مسجده، فقال: ما جاء بك يا سفيان؟ قال: قلت: طلب العلم. قال: فقال: يا سفيان، إذا ظهرت عليك نعمة فاتق الله، وإذا أبطأ عنك الرزق فاستغفر الله، وإذا دهمك أمر من الأمور فقل لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: يا سفيان ثلاث وأيّما ثلاث)(٢).

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦١).

(٢) شعب الايمان (١/ ٤٤١).





الدعاء

لقد أمرنا الله أن ندعوَه، ووعدنا بالإجابة تفضلًا منه وكرمًا، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

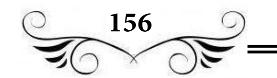
٦

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

فما على العبد إلا أن يتوجه إلى الكريم -سبحانه وتعالى- في كل حاجاته ومطلوباته، ويطلب منه ما ينفعه في دنياه وأُخراه، وسيجد الكريم الذي لا يخيب دعاء من رجاه، واحتمى بحماه، الذي لا يتبرم بإلحاح ذوي الحاجات، بل يغضب إن أعرض العبد عن سؤاله وما دعاه. و(اذا اشتكى إليه المخلوق، وأنزل حاجته به، واستغفره من ذنوبه .. أيَّدَهُ وقوَّاهُ وهداه، وسدَّ فاقتهُ وأغناه، وقرَّبهُ وأقناه، وأحبَّهُ واصطفاه)[1].

فـ (ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه إلى الله ويدعوَه، كما قال -سبحانه- فيما يأثر عنه نبيه: «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**» ، وفيما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) فتاوى ابن تيمية (٢٨/ ٤٠).



«**لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا، حَتَّى شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ**»(١)

وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢] وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] وهذا وإن كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات. ولهذا والله أعلم أمر النبي ﷺ الذي يدخل المسجد أن يقول: «**اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**» وإذا خرج أن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**» وقد قال الخليل ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧] وهذا أمر والأمر يقتضي الإيجاب، فالاستعانة بالله وَاللَّجأُ إليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم)(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَزَلَتْ به فاقةٌ فأنزلها بالناسِ؛ لم تُسَدَّ فاقتهُ، ومَنْ نزلت به فاقةٌ فأنزلها بالله؛ فيوشك الله له برزق عاجلٍ أو آجلٍ**».

رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب(٣)

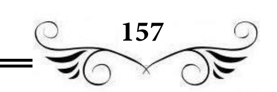
وقوله: «لم تُسَدَّ فاقتهُ» لتركه القادر على حوائج جميع الخلق الذي

---

(١) ضعفه الألباني، الضعيفة (١٣٦٢)

(٢) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٦٦٢).

(٣) صحيح الترغيب: (١٦٣٧).



لا يغلق بابه، وقصد من يعجز عن جلب نفع نفسه ودفع ضرها[1].

حقيقتان:

ونحن ندعو، وقبل أن ندعو، وبعد أن ندعو، فهناك حقيقتان إذا تذكرهما العبد حينئذ تزداد رغبته في الدعاء، ويزداد حبًّا للدعاء، وحبًّا لله جلَّ وعز:

الأولى: كمال غناه:

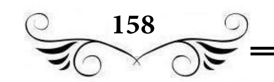
قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨].

وفي الحديث القدسي يقول تعالى: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»

و(المراد بهذا ذكر كمال قدرته -سبحانه- وكمال ملكه، وأن ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء، ولو أعطى الأولين والآخرين من الجن والإنس جميع ما سألوه في مقام واحد، وفي ذلك حثُّ الخلق على سؤاله وإنزال حوائجهم به. وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا**

(١) فيض القدير (٦/ ٦٦).



أَنْفَقَ ربُّكم مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنْ شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ**» وقال أبو سعيد الخدري: «**إذا دعوتم الله فارفعوا في المسألة فإن ما عنده لا ينفده شيء وإذا دعوتم فاعزموا فإن الله لا مستكره له**».

وقوله: «لم ينقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» لتحقيق أن ما عنده لا ينقص البتة، كما قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]

فإن البحر إذا غمس فيه إبرة ثم أخرجت لم تنقص من البحر بذلك شيئًا، وكذلك لو فرض أنه شرب منه عصفور -مثلًا- فإنه لا ينقص البحر البتة؛ ولهذا ضرب الخضر لموسى -عليهما السلام- هذا المثل في نسبة علمهما إلى علم الله ﷻ وهذا لأن البحر لا يزال تمده مياه الدنيا وأنهارها الجارية، فمهما أخذ منه لم ينقصه شيء؛ لأنه يمده ما هو أزيد مما أخذ منه.

وهكذا طعام الجنة وما فيها فإنه لا ينقص، كما قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]

وقد جاء: كلما نزعت ثمرة عاد مكانها مثلها، وروي: مثلاها، فهي لا تنقص أبدًا، ويشهد لذلك قول النبي ﷺ في خطبة الكسوف: «**وَأُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ، لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**»



خرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وخرجه الإمام أحمد من حديث جابر ولفظه: «**وَلَوْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ لَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَنْقُصُونَهُ شَيْئًا**»

وهكذا لحم الطير الذي يأكله أهل الجنة يستخلف ويعود كما كان حيًّا لا ينقص منه شيء، وقد روي هذا الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجوه فيها ضعف، وقاله كعب، وروي أيضًا عن أبي أمامة الباهلي من قوله. قال أبو أمامة: وكذلك الشراب يشرب منه حتى ينتهي نفسه، ثم يعود مكانه. ورُئي بعض العلماء الصالحين بعد موته بمدة في المنام فقال: ما أكلت منذ فارقتكم إلا بعض فرخ، أما علمتم أن طعام الجنة لا ينفد؟

وقد تبين في الحديث الذي خرجه الترمذي وابن ماجه السبب الذي لأجله لا ينقص ما عند الله بالعطاء بقوله: «**ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ وَاجِدٌ مَاجِدٌ، أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ**» وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وفي مسند البزار بإسناد فيه نظر من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **خَزَائِنُ اللهِ الْكَلَامُ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا، قَالَ لَهُ: كُنْ، فَكَانَ**»

فهو سبحانه إذا أراد شيئا من عطاء أو عذاب أو غير ذلك، قال له: كن، فيكون، فكيف يتصور أن ينقص هذا؟، وكذلك إذا أراد أن يخلق شيئًا، قال له: كن، فيكون كما قال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] [(١)].

الثانية: كمال كرمه:

وهو الكريم سبحانه الذي أفاض على عباده النعم العظيمة التي لا تحصى ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومن كرمه إجابة الداعي إذا دعاه، وسأله من خزائنه التي لا ينقصها عطاء، فهو الكريم الذي يعطي من غير سؤال، فكيف بعد السؤال؟ وهو الذي ينادي كل ليلة: «**هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَاب لَهُ**»

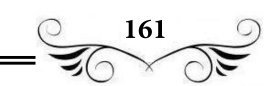
عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إذا رفعَ الرجلُ إليهِ يديهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»[(٢)] رواه أبو داود والترمذي

(وحياؤه جَلَّ جَلَالُهُ حياء كرم وبِرٍّ وجود وجلال)[(٣)].

ولا يذهب دعاء من دعاه سدى:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن النبي** ﷺ **قال:** «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**» **قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ:** «**اللهُ أَكْثَرُ**» رواه أحمد[(٤)]

(١) جامع العلوم والحكم: (٢٣٠).
(٢) صحيح الجامع: (١٧٥٧).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٦١).
(٤) صحيح الترغيب: (١٦٣٣).



❁ ❁ ❁

ولكمال كرمه وكمال غناه؛ فقد نهى النبي ﷺ أن يقال في الدعاء: اللهم ارزقني إن شئت ونحو ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ**» رواه البخاري

قال ابن بطال: في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريمًا[1].

بل إنه سبحانه هو الذي يوفق العبد للدعاء، وهو الذي يجيبه، فالفضل لله وحده أولًا وآخرًا، كما قيل:

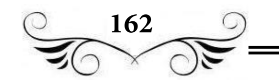
لو لم تُرد نيل ما أرجو وأطلبه ... من جود كفك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل بَدَوِيٌّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسول الله علمني خيرًا.

قال: قل: «**قُلْ: (سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر)**»

قال: وَعَقدَ بيده أرْبعًا، ثم ذهب فقال: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، ثم رجع فلما رآه رسول الله ﷺ تبسم وقال: «**تَفَكَّرَ البائِسُ**» فقال: يا رسول الله، سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، واللهُ أكبر، هذا كله لله، فما لي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا قُلتَ: (سبحانَ الله)؛ قال اللهُ: صدَقْتَ. وإذا قُلتَ: (الحمدُ لله)؛ قال الله: صدَقْتَ. وإذا قُلْتَ: (لا**

(١) فتح الباري (١١/ ١٤٠).



إله إلا اللهُ)؛ قال اللهُ: صدَقتَ. وإذا قُلتَ: (اللهُ أكبرُ)؛ قال اللهُ: صدَقتَ. فتقولُ: (اللهمَّ اغفرْ لي)، فيقولُ اللهُ: قد فَعَلتُ. فتقولُ: (اللهمَّ ارحمْني)؛ فيقولُ الله: قد فَعَلتُ. وتقولُ: (اللهمَّ ارْزُقْني)[1] فيقولُ الله: قد فَعَلتُ».

قال: فَعَقَدَ الأعرابيُّ سَبْعـًا في يديْهِ. رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي[2].

فهل نستشعر هذا الأمر عند دعائنا؟ وأننا عندما ندعو ربنا الكريم جل في علاه أنه يجيب ويقول: قد فعلت؟!!

يا من يُرَجَّى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن رزقه في قول كن ... امنن فإن الخير عندك أجمع

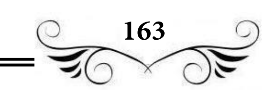
من قصص الدعاء:

١ - روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ بَابٍ كَانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكَتِ المَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا» قَالَ أَنَسُ: وَلاَ وَاللهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَلاَ شَيْئًا وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلاَ دَارٍ قَالَ:

---

(١) **قال ابن عثيمين**: قوله: «ارزقني» فهو طلب الرزق، وهو ما يقوم به البدن، وما يقوم به الدِّين. يعني؛ أنَّ رِزْقَ الله عزّ وجل ما يقوم به البدن من طعام وشراب ولباس وسَكَنٍ، وما يقوم به الدِّين من عِلْمٍ وإيمانٍ وعَمَلٍ صالح. والإنسان ينبغي له أن يعوِّد نفسَه على استحضار هذه المعاني العظيمة حتى يخرج منتفعًا. فإذا قال: «ارزقني» يعني: ارزقني ما به قِوام البدن، وما به قِوام الدِّين. الشرح الممتع (١/ ٦٣٠).

(٢) صحيح الترغيب (١٥٤٦).



فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَالآجَامِ وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**». قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس.

٢ - قصة المرأة صاحبة التنور:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَهْلِهِ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ الْحَاجَةِ، خَرَجَ إِلَى الْبَرِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ امْرَأَتُهُ قَامَتْ إِلَى الرَّحَى، فَوَضَعَتْهَا، وَإِلَى التَّنُّورِ فَسَجَرَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: اللهُمَّ ارْزُقْنَا. فَنَظَرَتْ فَإِذَا الْجَفْنَةُ قَدِ امْتَلأَتْ. قَالَ: وَذَهَبَتْ إِلَى التَّنُّورِ فَوَجَدَتْهُ مُمْتَلِئًا. قَالَ: فَرَجَعَ الزَّوْجُ، قَالَ: أَصَبْتُمْ بَعْدِي شَيْئًا؟ قَالَتْ امْرَأَتُهُ: نَعَمْ مِنْ رَبِّنَا. قَامَ إِلَى الرَّحَى فَرَفَعَهَا. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال: «**أَمَا إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْفَعْهَا، لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

رواه أحمد، والبزار وقال: فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا مَا نَطْحَنُ، وَمَا نَعْجِنُ، وَنَخْبِزُ، فَإِذَا الْجَفْنَةُ مَلأَى خُبْزًا، وَالرَّحَى تَطْحَنُ، وَالتَّنُّور مَلأَى جُنُوبَ شِوَاءٍ، فَجَاءَ زَوْجُهَا فَقَالَ: عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: رِزْقُ اللهِ - أَوْ قَدْ رَزَقَ اللهُ - فَرَفَعَ الرَّحَى، فَكَنَسَ حَوْلَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ تَرَكَهَا لَطَحَنَتْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

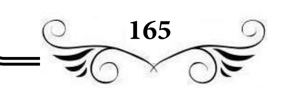
ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه، ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار وشيخ الطبراني وهما ثقتان[1].

٣ - قصة المحمَّدِينَ:

جمعت الرحلة بين محمد بن جرير، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، قَالَ: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب، ففتحوا الباب فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو هذا، فأخرج صرةً فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرةً فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرةً فيها خمسون دينارًا فدفعها إليه، ثم قَالَ: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا يصلي، فلما فرغ دفع إليه الصرة، وفيها خمسون دينارًا، ثم قَالَ: إن الأمير كان قائلًا بالأمس فرأى في المنام خيالًا قَالَ: إن المحامد طووا كشحهم جياعًا، فأنفذَ إليكم هذه الصرار، وأقسم عليكم

---

(١) مجمع الزوائد (١٠/ ٤٥٠). وانظر السلسلة الصحيحة حديث (٢٩٣٧).

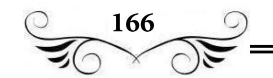


إذا نفدت فابعثوا إليَّ أمدكم.[1].

وقد حصل مثل ذلك للحسن بن سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ، قال ابن كثير: الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء أبو العباس الشيباني النسوي، محدث خراسان، وقد كان تُضرَب إليه آباط الإبل في معرفة الحديث والفقه. رحل إلى الآفاق وتفقه على أبي ثور، وكان يفتي بمذهبه، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل، وكانت إليه الرحلة بخراسان. ومن غريب ما اتفق له: أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر في رحلتهم إلى الحديث، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئًا، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت، واضطرهم الحال إلى تجشم السؤال، وأنفت أنفسهم من ذلك وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع، والحاجة تضطرهم إلى تعاطي ذلك، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان هذا، فقام عنهم فاختلى في زاوية المسجد الذي هم فيه فصلى ركعتين أطال فيهما واستغاث بالله عز وجل، وسأله بأسمائه العظام، فما انصرف من الصلاة حتى دخل عليهم المسجد شاب حسن الهيئة مليح الوجه فقال: أين الحسن بن سفيان؟ فقلت: أنا. فقال: الأمير طولون يقرأ عليكم السلام ويعتذر إليكم في تقصيره عنكم، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم. فقلنا له: ما الحامل له على ذلك؟

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٥).



فقال: إنه أحب أن يختلي اليوم بنفسه، فبينما هو الآن نائم إذ جاءه فارس في الهواء بيده رمح فدخل عليه منزله ووضع عقب الرمح في خاصرته فوكزه وقال: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاثٍ جياعٌ في المسجد الفلاني. فقال له: من أنت؟ فقال أنا رضوان خازن الجنة. فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألمًا شديدًا، فبعث بالنفقة في الحال إليكم. ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المجلس ووقفه على الواردين عليه من أهل الحديث، جزاه الله خيرًا.[1]

٤ – قصة ابن النَّضر:

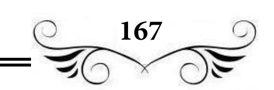
علي بن محمد بن محمد بن النَّضر أبو الحسن، أحد قضاة الصعيد.

كان عالمًا أديبًا نحويًّا، ... وذكره ابن عرَّام في سيرة بني الكنز، وأثنى عليه العماد الكاتب. قال أبو الحسن المذكور: أملقتُ سنةً، وكنت أحفظ كتاب سيبويه وغيره عن ظهر قلب؛ حتَّى قلت: إنَّ حرفة الأَدب قد أدركتني. فعزمتُ على أن أقول شعرًا في والي عَيْذابَ، فأقمت إلى السَّحَر فلم يساعدني القول، وأجرى الله القلم فكتبت:

قالوا: تعطَّفْ قلوب الناس قلتُ لهمْ: أدنى من الناس عطفًا خالقُ الناسِ

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٢٥) وقال ابن كثير في نفس الكتاب (١/ ٥٣): «وخازن الجنّة ملك يقال له رضوان، جاء مصرّحًا به في بعض الأحاديث» وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء: «المشهور عند العلماء: أن اسم خازن الجنة رضوان، وجاء ذكره في بعض الأحاديث التي في ثبوتها نظر».



ولـو علمـتُ بسـعيي أو بمسـألتي	جدوى أتيتهمُ سعيًا على الـراسِ
لكــنّ مثلــيَ في ســاحات مــثلهمُ	كمَزجر الكلب يرعى غفلةَ الناسي
وكيف أبسـط كفي بالسـؤال وقـد	قبضتُها عن بني الدنيا على اليـاس
تسليم أمري إلى الرحمن أمْثَلُ بي	من استلاميَ كـفَّ البَـرِّ والقاسـي

قال: فقنعت نفسي، وما أقمت إلاَّ ثلاثة أيام وورد كتاب والي عَيْذب، يولِّيني فيه خِطَّة الصعيد، وزادني إخميم، ولقّبني قاضي القضاة[١].

وأعجبني -في معنى هذه الأبيات التي قالها- قول من قال وأحسن:

تكلفنـــي إذلالَ نفســـي لعزِّهـــا	وهـــان عليهـــا أن أُهـــان لتُكرمـــا
تقولُ سلِ المعروفَ يحيى بـن أكـثم	فقلت سليه رب يحيى بن أكثما[٢]

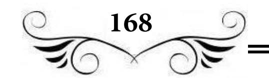
دعوات يقولها المهموم والمكروب[٣]:

١ - عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أصابَ أحداً قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهمَّ إنِّي عبدُك، وابنُ عبدِك، وابنُ أَمتِكَ، ناصيَتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حُكمُكَ، عَدلٌ فِيَّ قَضاؤكَ، أسْأُلكَ بكلِّ اسْم هُوَ لكَ سمَّيْتَ به نفسَك، أوْ أَنْزلتَهُ في كتابِكَ، أو علَّمْتَهُ أحداً مِنْ خلقِكَ، أوِ اسْتَأْثرتَ بِه في علْمِ الغيْبِ عندَك، أنْ تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلْبي، ونور صدْري، وجَلاء حُزْني، وذَهابَ همِّي .. إلَّا أذْهبَ الله عزَّ وجلَّ همَّهُ، وأبدَلَهُ مكانَ حُزنِهِ فَرَحًا**».

(١) الوافي في الوفيات في ترجمة ابن النضر.

(٢) يحيى بن أكثم هو وزير المأمون وقاضي بغداد.

(٣) من صحيح الترغيب.



قالوا: يا رسولَ الله! ينبغي لنا أنْ نَتعلَّم هؤلاء الكلِماتِ؟ **قال: «أجلْ، ينبغي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أنْ يَتعلَّمهُنَّ»** رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم.

٢ - عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «كلماتُ المكْروبِ: اللهمَّ رحمتَكَ أرجو، فلا تَكِلْني إلى نفسي طرْفَةَ عيْنٍ، وأصلِحْ لي شأني كلَّهُ»

رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه وزاد في آخره: «**لا إله إلا أنت**»

٣ - عن أسماء بنت عميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أعلِّمُكِ كلماتٍ تقولينَهُنَّ عند الكربِ أو في كرْبٍ؟ اللهُ؛ اللهُ ربِّي، لا أشرِكُ به شيئًا**» رواه أبو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه

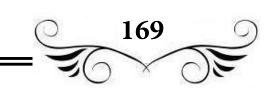
٤ - عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ العظيمِ، لا إله لا الله ربُّ السمواتِ والأرضِ وربُّ العرشِ الكريمُ**»[1] رواه البخاري ومسلم

٥ - عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دَعوة ذي النونِ إذ دعاهُ وهو في بَطنِ الحوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ؛ فإنَّه لمْ يَدْعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شَيْءٍ قَطُّ؛ إلا اسْتجابَ الله له**»

رواه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد.

---

(١) **قال ابن بطال:** حدثني أبو بكر الرازي قال: كنت بأصبهان عند أبي نعيم أكتب الحديث، وهناك شيخ يقال له: أبو بكر بن علي، عليه مدار الفتيا، فَسُعِيَ به عند السلطان فسجن، فرأيت النبي ﷺ في المنام، وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لي النبي ﷺ: قل لأبي بكر بن علي، يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه. قال: فأصبحت فأخبرته، فدعا به، فلم يكن إلا قليلًا حتى أُخرج. انتهى. فتح الباري (١١/ ١٤٧).



٦ - **وعن أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ أَوْ شِدَّةٌ، فَقَالَ: اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ، كُشِفَ ذَلِكَ عَنْهُ»** رواه الطبراني[1].

فائدة:

قال ابن القيم: التوحِيدُ مَفزَعُ أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كُرَبِ الدنيا وشدائدها، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥] وأما أولياؤه فينجيهم من كُربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزعَ إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباعُ الرُّسلِ فنجوا به مما عُذِّب به المشركون في الدنيا وما أعدَّ لهم في الآخرة. ولما فزعَ إليه فرعون عند مُعاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه؛ لأنَّ الإيمان عند المعايَنة لا يقبل، هذه سُنةُ الله في عِباده؛ فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاءُ الكربِ بالتوحيد، ودعوةُ ذي النون التي ما دعا بها مَكرُوبٌ إلا فرَّجَ الله كربَه بالتوحيد؛ فلا يُلقي في الكربِ العِظام إلا الشِّرك، ولا يُنْجِي منها إلا التوحيد؛ فهو مَفزَعُ الْخَلِيقة ومَلجؤها وحِصْنُها وغِياثها[2].

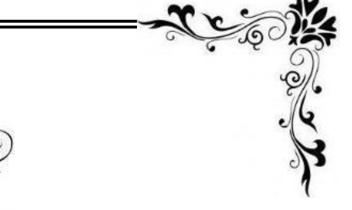
وقال أيضًا: فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والذل، والخضوع[3].

---

(١) في صحيح الجامع (٦٠٤٠).

(٢) الفوائد (٥٣).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٣٥).



الشكر

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

(الآية نص في أن الشكر سبب المزيد)[١].

(**والشكر:** هو اعتراف القلب بنعم الله، والثناء على الله بها، وصرفها في مرضاة الله تعالى، وكفر النعمة ضد ذلك)[٢].

عن علي رضي الله عنه **أنه قال لرجل من همدان:** إن النعمة موصلة بالشكر، والشكر معلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد[٣].

وقال الفضيل بن عياض: كان يقال: من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله عز وجل: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] [٤].

أنالك رزقه لتقوم فيه ... بطاعته وتشكر بعض حقه

فلم تشكر لنعمته ولكن ... قويت على معاصيه برزقه

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٩٢).

(٢) تفسير السعدي (٤٢٢).

(٣) الشكر لابن أبي الدنيا (١١).

(٤) الشكر لابن أبي الدنيا (٢٣).





الإنفاق

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ [سبأ: ٣٩].

٨ **أي:** مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الأخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: «**يقول الله تعالى: أَنفق أُنفق عليك**»(١).

وفي الحديث: «أَنَّ مَلِكَيْنِ يصبحان كُلَّ يَوْمٍ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكا تَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا»(٢) وقال رسول الله ﷺ: «**أَنْفِقْ بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا**(٣)»(٤).

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» رواه مسلم

(**والزيادة التي تحصل بدل الصدقة إما كمية وإما كيفية:** مثال الكمية: أن الله تعالى يفتح لك بابًا من الرزق ما كان في حسابك. والكيفية: أن ينزل لك البركة فيما بقي من مالك.)(٥).

---

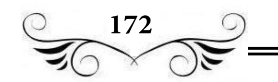
(١) البخاري ومسلم.

(٢) البخاري ومسلم.

(٣) صحيح الجامع (١٥١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٧١٣).

(٥) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ٣٩١).





الإحسان إلى الضعفاء والمساكين:

قال النبي ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ» رواه البخاري(١).

وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكى المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: **«لعلَّكَ تُرزَقُ بِهِ»**(٢).

بشرى للمتصدقين:

(والرزاق سبحانه وتعالى في عون المتصدق، ييسر له الأسباب، ويسوق له السحاب: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»**(٣))(٤).

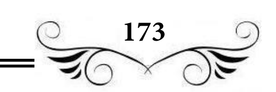
---

(١) (٢٧٣٩).

(٢) (٢٣٤٥).

(٣) مسلم: (٢٩٨٤).

(٤) المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٣٨٦).





صلـة الرحـم

9

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» رواه البخاري ومسلم[1].

وسئل شيخ الإسلام عن الرزق هل يزيد أو ينقص؟

فأجاب:

الرزق نوعان:

أحدهما: ما علمه الله أنه يرزقه فهذا لا يتغير.

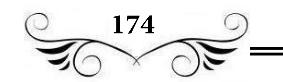
والثاني: ما كتبه وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب، فإن العبد يأمر الله الملائكة أن تكتب له رزقًا، وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» وكذلك عمر داود، زاد ستين سنة، فجعله الله مائةً بعد أن كان أربعين، ومن هذا الباب قول عمر: «**اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيدًا؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت**».

و من هذا الباب قوله تعالى عن نوح: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٣، ٤] و شواهده كثيرة.

والأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه، فإن

---

(١) البخاري: (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٥٧).



كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه، ألهمه السعي والاكتساب، وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدره له بغير اكتساب كموت موروثه، يأتيه به بغير اكتساب.

والسعي سعيان: سعي فيما نصب للرزق كالصناعة والزراعة والتجارة، وسعى بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك، فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[1].

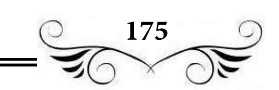
للفائدة:

قال ابن حجر: قال ابن التين: ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] والجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم، فأعطاه الله ليلة القدر. وحاصله أن صلة الرحم تكون سببًا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية، فيبقى بعده الذكر الجميل، فكأنه لم يمت، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذي ينتفع به من بعده، والصدقة الجارية عليه، والخلف الصالح. وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى.

---

(١) الفتاوى (٨/ ٥٤٠).



ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة إلى علم المَلَك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلا: إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها.

وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى، فلا محو فيه البتة، ويقال له القضاء المبرم، ويقال للأول القضاء المعلق[(١)].

وهذا الوجه الثاني هو الذي اختاره ابن تيمية، فقال: وقد قال بعض الناس: إن المراد به البركة في العمر، بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير. قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان. **فيقال لهؤلاء:** تلك البركة، وهي الزيادة في العمل والنفع هي أيضًا مقدرة مكتوبة وتتناول لجميع الأشياء.

والجواب المحقق: أن الله يكتب للعبد أجلًا في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب.

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤١٦).

ونظير هذا ما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «**أَنَّ آدَمَ لَمَّا طَلَبَ مِنْ اللهِ أَنْ يُرِيَهُ صُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ فَأَرَاهُ إِيَّاهُمْ، فَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ بَصِيصٌ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا يَا رَبِّ؟ فَقَالَ: ابْنُك دَاوُد. قَالَ: فَكَمْ عُمُرُهُ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً. قَالَ: وَكَمْ عُمْرِي؟ قَالَ: أَلْفُ سَنَةٍ. قَالَ: فَقَدْ وَهَبْت لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً. فَكُتِبَ عَلَيْهِ كِتَابٌ، وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ: قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمْرِي سِتُّونَ سَنَةً. قَالُوا: وَهَبْتَهَا لِابْنِك دَاوُد. فَأَنْكَرَ ذَلِكَ فَأَخْرَجُوا الْكِتَابَ**» قال النبي ﷺ: «**فَنَسِيَ آدَمَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَجَحَدَ آدَمَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ**» وروي أنه كمل لآدم عمره، ولداود عمره.

فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة، ثم جعله ستين، وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيدًا؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت.

والله سبحانه عالم بما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون، فهو يعلم ما كتبه له، وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها، فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له مالم يكن عالمًا به، فلا محو فيه ولا إثبات[1].



(١) الفتاوى (١٤/ ٤٩٠).





الأخذ بنية الأداء إذا احتاج (الدَّين) [1]



قال ﷺ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ» أخرجه البخاري.

وقال ﷺ: «مَنِ ادَّانَ دَيْنًا يَنْوِي قَضَاءَهُ أَدَّاه اللهُ عَنْهُ»[2].

عن أم المؤمنين ميمونة: أنها كانت تدان دينا. فقال لها بعض أهلها لا تفعلي. وأنكر ذلك عليها، فقالت: بلى، إني سمعت نبيي وخليلي ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدَّانُ دَيْنًا، يَعْلَمُ اللهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَدَاءَهُ، إِلَّا أَدَّاهُ اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا» رواه النسائي وابن ماجه[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تَدَّانُ فقيل لها: ما لك وللدين ولك عنه مندوحة؟ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي أَدَاءِ دَيْنِهِ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنَ اللهِ عَوْنٌ» فأنا ألتمس ذلك العون[4] رواه أحمد والحاكم

وفي هذه الأحاديث تنبيه المستدين وترغيبه في أن ينوي الوفاء حتى ينال معونة الله، وأما إن كانت النية أخذَ أموال الناس وإتلافَها، فإن الله يتلفه، كما جاء في الحديث الصحيح، والجزاء من جنس العمل.

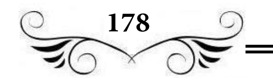
---

(١) ذكر هذا السبب القرطبي في تفسيره (٨ / ٩٥).

(٢) صحيح الجامع: (٥٩٨٦).

(٣) قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله في الدنيا.

(٤) صحيح الجامع: (٥٧٣٤).



قال ابن حجر:

(**قوله: «أتلفه الله»** ظاهره أن الإتلاف يقع له في الدنيا، وذلك في معاشه أو في نفسه، وهو علم من أعلام النبوة لما نراه بالمشاهدة ممن يتعاطى شيئا من الأمرين، وقيل: المراد بالإتلاف: عذاب الآخرة)[1].

وصاحب هذه النية السيئة يلقى الله سارقًا:

فعن صهيب الخير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ تَدَيَّنَ دَيْنًا، وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لَا يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللهَ سَارِقًا**» رواه ابن ماجه[2].

ويؤخذ من حسناته يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ:

«الدَّيْنُ دَيْنَانِ: فمَنْ مَاتَ وهُوَ يَنْوِي قَضَاءَهُ فَأَنَا وَلِيُّهُ، ومَنْ مَاتَ ولاَ يَنْوِي قَضَاءَهُ فَذَلِكَ الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ لَيْسَ يَوْمَئِذٍ دِينَارٌ ولاَ دِرْهَمٌ»[3].

دعاء يقوله المديون:

عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»** رواه الترمذي[4].

قال المباركفوري في شرحه:

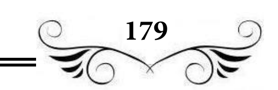
---

(١) فتح الباري: (٥/ ٥٤).

(٢) صحيح ابن ماجه (١٩٥٤).

(٣) صحيح الجامع (٣٤١٨).

(٤) صحيح الجامع (٢٦٢٥).



قوله: (أَنَّ مُكَاتَبًا) أي لغيره، وهو عبد علق سيده عتقه على إعطائه كذا من المال.

(إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي) الكتابة: المال الذي كاتب به السيد عبده، يعني بلغ وقت أداء مال الكتابة وليس لي مال.

(فَأَعِنِّي) أي بالمال، أو بالدعاء بسعة المال.

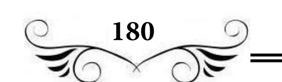
(قَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ) قال الطيبي: طلب المكاتب المال فعلمه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده من المال ليعينه فرده أحسن رد؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣] أو أرشده إشارة إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: «**وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**».

و(صِيرٍ) بكسر الصاد المهملة وسكون التحتية، هو جبل لطَيِّئ، ويروى: صَبِير، بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة وسكون التحتية، كذا في النهاية[1].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «**ألا أُعلِّمُك دعاءً تدْعو به لو كانَ عليكَ مثلُ جَبلِ أُحُدٍ ديْنـًا لأَدَّاهُ الله عنكَ؟ قلْ يا معاذُ:**

اللهمَّ مالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. رَحمنَ الدنيا والآخِرة ورحيمَهما، تُعْطِيهما مَنْ تشاءُ، وتَمْنَعُ منهما مَنْ

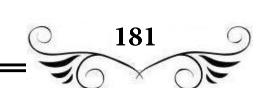
(١) تحفة الأحوذي (١٠/ ١١).



تشاء، ارْحَمْني رَحْمةً تُغنْيني بها عنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ» رواه الطبراني في الصغير بإسناد جيد[1].

---

(١) صحيح الترغيب (١٨٢١).





ومما ذكر العلماء أنه من أسباب الرزق:

أداء حقوق الله

(١١) عن معقل بن يسارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«يقولُ ربُّكم: يا ابْنَ آدَمَ، تَفرَّغ لِعبادَتي؛ أَمْلأْ قلْبَكَ غِنىً، وأَمْلأْ يَديْكَ رِزْقًا، يا ابْنَ آدَم، لا تُباعِدْ مِنِّي، أَمْلأْ قلْبَك فَقْراً، وأَمْلأ يديْك شُغْلاً».

رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

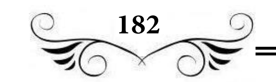
تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ ﴾ الآية، قال:

«يقولُ الله: ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لعبادَتي؛ أَمْلأْ صَدْرَك غِنىً، وأَسُدَّ فَقْرَكَ، وإلا تَفْعَلْ؛ ملأْتُ صدرَك شُغْلاً، ولَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ».

رواه ابن ماجه والترمذي، واللفظ له، وقال: حديث حسن [١]



(١) الحديثان في صحيح الترغيب (٣١٦٥،٣١٦٦).



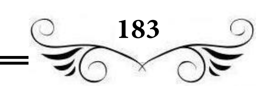


أن يجعل همه الآخرة

١٢ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[١] رواه الترمذي

---

(١) صحيح الجامع (٦٥١٠).







الصلاة

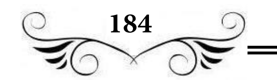
قال القرطبي: الصلاة سبب للرزق(١).

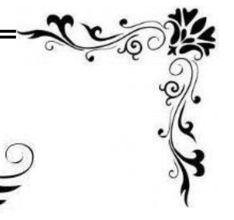
١٣ **وقال**: قوله تعالى: ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ [طه: ١٣٢] أي: لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم، وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق، بل نحن نتكفل برزقك وإياهم؛ فكان ﷺ إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨](٢)

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٢٠٨).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٢٣٣).





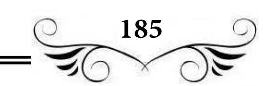
المتابعة بين الحج والعمرة

للحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ:

١٤ **« تابعوا بين الحجِّ والعمرةِ، فإِنَّهما يَنفيان الفقرَ والذنوبَ كما يَنفي الكيرُ خَبَثَ الحديدِ والذهبِ والفضةِ، وليس للحَجَّةِ المبرورةِ ثوابٌ دونَ الجنةَ »**[1].



(١) صحيح الجامع (٢٩٠١).





الذكـــر

عن سليمان بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجل من الأنصار أن النبي ﷺ قال:

١٥ **قال نوحٌ لابنِه: إنِّي مُوصيكَ بِوَصِيَّةٍ وقاصِرُها لِكَيْ لا تنساها؛ أوصيكَ باثْنَتين، وأَنهاك عنِ اثْنَتينِ:**

أَمَّا اللَّتانِ أوصيكَ بِهما؛ فيَستبشرُ اللهُ بهما وصالحُ خَلقهِ، وهما يُكْثِرانِ الوُلُوجَ عَلى اللهِ:

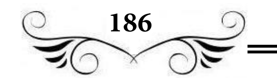
أوصيك بـ (لا إله إلا الله)، فإنَّ السمواتِ والأرضَ لوْ كانتا حَلقةً قَصَمَتْهُما، ولو كانتا في كِفَّةٍ وَزَنَتْهُما.

وأُوصيك بِـ (سبحانَ اللهِ وبحمدِه)؛ فإنَّهما صلاةُ الخَلقِ، وبهما يُرْزقُ الخلقُ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ وأَمَّا اللَّتانِ أَنهاكَ عنهما؛ فيحتجِبُ الله منهما وصالحُ خَلْقِهِ: أَنْهاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالكِبْرِ.

رواه النسائي واللفظ له والبزار والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال الحاكم صحيح الإسناد[1].

---

(١) صحيح الترغيب (١٥٤٣).





الهجــرة

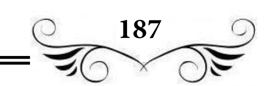
قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

١٦

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَسَعَةً﴾ أي: في الرزق، قاله ابن عباس والربيع والضحاك، وقال قتادة: المعنى سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العيلة إلى الغنى، وقال مالك: السعة سعة البلاد. وهذا أشبه بفصاحة العرب؛ فإن بسعة الأرض وكثرة المعاقل، تكون السعة في الرزق، واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج(١).



(١) تفسير القرطبي (٥/ ٣٣٠).



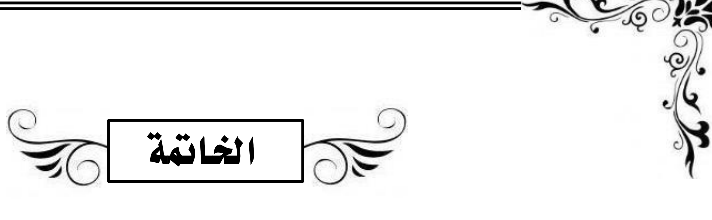




الزواج والنسل

١٧ وقد تقدم ذكر ما يتعلق بهذا السبب من آيات، وأحاديث، وأقوال أهل العلم، عند الكلام على (ترك الزواج).





الخاتمة

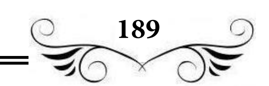
وأخيرًا..

فلابد للعبد أن يملأ قلبه محبَّةً لله خالقه ورازقه، وإجلالًا وتعظيمًا، وتوكلًا عليه، وإنابة إليه، ورضًا به، وأن يعمر حياته بالإيمان والعمل الصالح؛ وذلك ما لأجله خلقنا الله تعالى، وذلك هو السبيل الأوحد لنيل سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

والدنيا فانية لا تبقى، والآخرة هي الباقية التي لا تفنى، فيا سعادة عبدٍ نال نعيمها الذي لا ينغص ولا يحول، ورزقها الذي لا ينفد ولا يزول ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٤٩-٥٤].

وهذا الرزق الذي لا نفاد له هو الذي ينبغي أن نفني أيامنا وليالينا في طلبه، وأن تبقى الأبصار شاخصة إليه، متخطيةً صعاب الدنيا وركامها حتى تقرَّ بذاك النعيم.

اللهم إنا نسألك أن تصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن تصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن تصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل



الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم إني أسألك أن تبارك لي في عملي هذا، وأن تجعله خالصًا لوجهك الكريم، وأن تنفع به كل من اطلع عليه، وأن تجعله ذخرًا لي في آخرتي يا رب العالمين.

وأسألك اللهم أن تغفر لي، ولوالديَّ، ولكل من له حق عليَّ، أو أسدى معروفًا إليَّ، ولكل من ساعد ويساعد في إخراج هذا الكتاب ونشره، وللمسلمين أجمعين.

والله أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

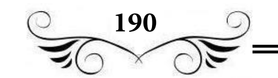
وكتبه
محمَّد بن قحطان سِندي
وكان الفراغ منه قبل الظهر
من يوم الأربعاء
في التاسع عشر
من ذي الحجة
سنة ١٤٢٩ هـ



m1q1434@gmail.com

00967735207351

00967776131041





المحتويات

